المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

مُكوِّنات العقل البلاغيّ عند الطِّيبِي

Components of The Rhetorical Mind of Al-Tibi

بقلم الباحثة

مريم سعيد حميد الصاعدي

باحثة دكتوراه، تخصص بلاغة ونقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى
ومحاضر في كلية العلوم والآداب، جامعة الباحة - المملكة العربية السعودية

الجزء الرابع (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُكوِّنات العقل البلاغيّ عند الطِّيبِيّ

مريم سعيد حميد الصاعدي

قسم البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى ، وكلية العلوم والآداب، جامعة الباحة ـ المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Malssaedi@bu.edu.sa

الملخص

هدفت الدراسة التعرف على العوامل العلمية والثقافية والفكرية التي كونت عقلية الطيبي، والتي أثرت في توجيه المنهج البلاغي لديه، والكشف عن سمات التفكير البلاغي عند الطيبي من خلال حاشيته. والوقوف على مصادر وأصول التفكير البلاغي عند الطيبي، وأثر علماء اللغة والبلاغة-السابقين والمعاصرين له- فيه . يتّخّذ البحث من المنهج الاستدلالي طريقة في الكشف عن أصول التّفكير البلاغيّ عند الطّيبي؛ حيث يرتكز على آليّات عقليّة تفترض- على سبيل الادّعاء- ثبوت بعض الأصول البلاغيّة والفكريّة في تفكير الطّيبي، بعرض بعد المعارف على سبيل التّدليل؛ ليُنظر فيها، ويُستنبط منها حقائق تتصّل بصحّة هذه الفروض من عدمها، وتكون بذلك نتيجة البحث والتقصّي والنّظر. وجاء البحث في مبحثين: الــمَبحَث الأوَّل: العَوَامِل الفِكريَّة والثَّقَافِيَّة والعلميَّة الــمُؤثِّرة في الطِّيبي. المبحث الثَّاني: دعائم ومصادِر التَّفكير البَلاغِيِّ في الحاشية. وتكون المبحث الأول: من عدة مطالب المطلب الأول: النَّزْعَة التَدريسيّة عند الطِّيبيّ. المطلب الثاني: فُتُوح الغَيب لعبد القَادِر الجِيلَانيّ المتوفى سنة ٥٦١هـ. المطلب الثالث: مؤلفات جَارُ الله الزمخشَريّ المتوفى سنة ٥٣٨ هـ. المطلب الرابع: ازدهار الشُّرُوح والتَلخِيصَات في القَرنين السَّابِع والثَّامِن الهجْريين. المطلب الخامس: التعصُّب المذهبيّ العقدِيّ عند الزَّمخشّرِيّ. المطلب السادس: الكلام النفسِيّ عند الأشَاعِرة. المطلب السابع: المَذْهَب الفقْهِيّ الــمُنتَمِي إليه.

الكلمات المفتاحية: العقل البلاغيّ،الطِّيبِيّ، علماء اللغةوالبلاغة، النَّزْعَة التَدريسيّة.

Components of The Rhetorical Mind of Al-Tibi

Mariam saeed hameed alsaedi

PhD researcher specializing in Rhetoric and Criticism at the College of Arabic Language, Umm Al-Qura University, Lecturer at Al-Baha University, College of Arts and Sciences

Email: Malssaedi@bu.edu.sa

Abstract

The study aimed to identify the scientific, cultural and intellectual factors that formed Tibi's mentality, which influenced the direction of his rhetorical approach, and to reveal the characteristics of Al-Tibi's rhetorical thinking through his entourage. And standing on the sources and origins of rhetorical thinking at Al-Tibi, and the impact of linguists and rhetoricians - previous and contemporary - on it. The research adopts the deductive approach in revealing the origins of the rhetorical thinking of Al-Tibi. Where it is based on mental mechanisms that suppose - for the sake of claim - that some of the rhetorical and intellectual principles in Al-Tibi's thinking are proven, by presenting the dimension of knowledge as a matter of evidence; In order to consider it, and derive from it facts related to the validity of these hypotheses or not, and thus be the result of research, investigation and consideration. The research came in two sections: the first topic: the intellectual, cultural and scientific factors affecting al-Tibi. The second topic: the pillars and sources of rhetorical thinking in the footnote. And the first topic: from several demands the first requirement: the teaching tendency of Al-Tibi. The second requirement: Futouh al-Ghayb by Abd al-Qadir al-Jilani, who died in the year 561 AH. The third requirement: the writings of Jarallah Al-Zamakhshari, who died in the year 538 AH. The fourth requirement: the flourishing of commentaries and summaries in the seventh and eighth centuries AH. The fifth requirement: doctrinal sectarian fanaticism at Zamakhshari. The sixth requirement: the psychological discourse of the Ash'aris. The seventh requirement: the jurisprudential school he belongs to.

Keywords: Rhetorical Mind, Al-Tibi, Linguists and Rhetoricians, Didacticism..

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

بالعقلِ يكون التَّفكير والاستدلال وتركيب التَّصورات والتَّصديقات، وبه يتميز الحسنُ من القبيح، والخيرُ من الشّرِ، والحقُّ من الباطل، وحين يُوصف العقل بأنّه بلاغيّ فيعني ذلك أنَّ هذا العقل قادرٌ على الإبلاغ والتَّأثير، وعلى صَوغ الخطاب البليغ، ويعني العقل الذي يستخدم "مناهج النظر البلاغي، وأدواته، وضوابطه، وغاياته وأهدافه في أثناء النظر في أي بيان من أنواع البيان العليّ المعجز، أو البيان العالي البشري"(١)، وهو القوة التي تمكِّن من استنباط المعاني المدفونة، وتمييز الحسن والقبيح من الكلام، والوقوف على المقاصد والغايات، ومُناقدة الغير، والدفاع عن الآراء والعقائد والمذاهب، وهو العقل الحاضر ليس في كتب اللُّغة و البلاغة فحسب؛ بل تجده في كتب الأصول والتَّفسير وكتب علوم القرآن(٢).

والعقل البلاغيّ بطبيعة الحال مؤثِّرٌ ومتأثِّرٌ، وله علاقة بالسِّياق الاجتماعيّ والتَّاريخيّ الذي يعيش فيه صاحب هذا العقل، وقد تعاضدت عناصر ومقومات ساعدتْ على بناء هذا العقل، فلم ينشأ من فراغ، وهو حصيلة قراءات ومعارف وعلوم كانت سببًا في إنتاجه، ومرتبطٌ بهواجس وغايات، ومُزوَّد بعلمِ البلاغة، ذلك العلم الذي هو مفتاح الوصول إلى مقاصد النُّصوص؛ إذ هو أداةٌ لتحليل النَّص وإدراك معانيها والعمل بها.

---

(١) مستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي مراجعات منهجية، محمود توفيق محمد سعد، مجلة جذور، العدد ٣٢، الناشر النادي الأدبي بجدة، سبتمبر ٢٠١٢م، ص٢٢٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وممّا يسترعي نظر الباحث في تاريخ البلاغة العربية، باعتباره علمًا مرَّ بمراحل ومنعرجات حتى تحقق له النضج الذي مكّنهُ من احتلال مكان مهم بين العلوم الإنسانية، ما عُرف بمرحلة الشروح والتلخيصات والحواشي، وهذه المرحلة لا تقل أهمية عن المراحل السابقة لها؛ ففيها تتجلّى العقلية العلمية التي تمثّل نموذجًا لتلاقح العلوم، وتعدّد الثّقافات والمعارف، الأمر الذي يحقّق استمراريّة تجديد العلوم وتوليد بعضها من بعض، كما تنكشف مسارات التوجهات لعلماء المسلمين على تنوّع مشاربهم ومعتقداتهم، وكانت منطلَق هذه المرحلة هو وضع أبو يعقوب السكاكي مفتاحه؛ فمنذ ذلك الوضع اتَّجه العلماء إلى الشروح والحواشي، وبدأت القراءة على القراءة.

ومن علماء هذه المرحلة شرف الدين الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ، وتُعدُّ حاشيته على الكشاف من أنفس الحواشي، وكان الكشاف للزمخشري، في ذلك الوقت، مدار كثير من الشروح والحواشي، إلّا أنَّ الطيبي برع وأجاد في حاشيته فكانت من أشمل وأوسع الحواشي، ومن المعلوم أنَّ هدف علم البلاغة العربية هو الاتجاه نحو المتلقي لإشراكه في قضيةٍ ما، وكان هذا الهدف متحقق عند الطيبي فقد كانت من بين أهدافه نقض الاعتزاليات الموجودة عند الزمخشري، ويمكن أن تُعتبر حاشيةُ الطيبي مصدرًا من مصادر البلاغة العربية؛ حيث تضمَّنت قواعد ومصطلحات وعطاءات بلاغية لها أثر في تثقيف العقل، وتدريبه على النظر والتدقيق والمراجعة.

ونظراً لأهمية تلك الحاشية التي شرح فيها كتاب الزمخشري – كما قال ابن خلدون–وتتبع ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تزيّفها، وتُبيِّن أن البلاغة إنَّما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة، لا على ما يراه المعتزلة، فأحسن في ذلك ما شاء، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة [١]، فقد رأيتُ أن اتَّجه إلى تلك الحاشية لأتبيّن منهج التفكير البلاغي عند الطيبي، والنّظر في المنهج يغاير النظر في المادة العلمية واستخراج الآراء في القضايا والأساليب البلاغية.

(١) ابن خلدون

وقد عرض التَّمهيد مراحل التَّفكير البلاغيّ، ووقف عند مرحلة الحواشي، وأبانَ عن أهمية هذه المرحلة في علم البلاغة العربية، وفي إتقان أدوات تحليل النصوص، وكان نِتاج هذه المرحلة ظهور "فُتُوح الغَيبِ في الكَشْفِ عن قِنَاع الرَّيب" لِتُفَتِّش الدّراسة عن مُكوِّنات العقل البلاغيّ لشرف الدِّين الطِّيبيِّ.

مشكلة الدراسة:

تدور حول دراسة العوامل العلمية والثقافية والفكرية التي كونت العقلية البلاغية للطيبي، والتي أثرت في توجيه المنهج البلاغي لديه، والكشف عن سمات التفكير البلاغي عند الطيبي من خلال حاشيته. والوقوف على مصادر وأصول التفكير البلاغي عند الطيبي، وأثر علماء اللغة والبلاغة-السابقين والمعاصرين له- فيه. وطرائق استثمار معارفه المتراكمة، وتفعيلها في الشرح البلاغي، في سياق تكامل المعارف وتعاضدها، مما يتيح الكشف عن أصول التفكير البلاغيّ وسِماته التي تميّزه عن غيره، وآلياته الحجاجية، والتي تُجاري عقلية الزمخشري، وأن تدحض أفكاره المخالفة للسنة بقدرة ومعرفة بلاغية لا تقل عن بلاغة الزمخشري.

أسباب اختيار الموضوع:

- التعرف على طريقة الطيبي في حاشيته، وكيفية تعامله مع المادة العلمية التي كانت بين يديه، وكيف استطاع أن يوجِّه ذلك الشرح بما يلائم معتقد أهل السنة.
- النظر في عقلية استطاعت أن تُجاري عقلية الزمخشري، وأن تدحض أفكاره المخالفة للسنة بقدرة ومعرفة بلاغية لا تقل عن بلاغة الزمخشري.

أسئلة الدراسة :

س١: ما العَوَامِل الفِكرِيَّة والثَّقَافِيَّة والعلميَّة المُؤثِّرة في العقل البلاغي للطِّيبي؟

س٢: ما دعائم ومصادِر التَّفكير البَلاغِيِّ في حاشية الطيبي؟

أهداف الدراسة:

- التعرف على العوامل العلمية والثقافية والفكرية التي كونت عقلية الطيبي، والتي أثرت في توجيه المنهج البلاغي لديه.

▪محاولة الكشف عن دعائم ومصادِر التَّفكير البَلاغِيِّ التي شكلت عقل الطيبي البلاغي حين صاغ حاشيته.

▪الوقوف على مصادر وأصول التفكير البلاغي عند الطيبي، وأثر علماء اللغة والبلاغة-السابقين والمعاصرين له- فيه.

منهج الدراسة:

يتّخّذ البحث من المنهج الاستدلالي طريقة في الكشف عن أصول التّفكير البلاغيّ عند الطّيبي؛ حيث يرتكز على آليّات عقليّة تفترض- على سبيل الادّعاء- ثبوت بعض الأصول البلاغيّة والفكريّة في تفكير الطّيبي، بعرض بعد المعارف على سبيل التّدليل؛ ليُنظر فيها، ويُستنبط منها حقائق تتصّل بصحّة هذه الفروض من عدمها، وتكون بذلك نتيجة البحث والتقصّي والنّظر.

خطة البحث:

المبحث الأول: العَوَامِل الفِكريَّة والثَّقَافِيَّة والعلميَّة المُؤثِّرة في الطِّيبي

- المطلب الأول: النَّزْعَة التَدريسيّة عند الطِّيبيّ.
- المطلب الثاني: فُتُوح الغَيب لعبد القَادِر الجِيلَانيّ المتوفى سنة ٥٦١هـ.
- المطلب الثالث: مؤلفات جَارُ الله الزمخشَرِيّ المتوفى سنة ٥٣٨ هـ.
- المطلب الرابع: ازدهار الشُّرُوح والتَلخِيصَات في القَرنِين السَّابِع والثَّامِن الهجْرِيين.
- المطلب الخامس: التعصُّب المذهبيّ العقدِيّ عند الزَّمخشّرِيّ.
- المطلب السادس: الكلام النفسِيّ عند الأشَاعِرة.
- المطلب السابع: المَذْهَب الفقْهِيّ المُنتَمِي إليه.

المبحث الثَّاني: دعائم ومصادِر التَّفكير البَلاغِيِّ في الحاشية

- الدَّعامة الأولى: النَّظم طريق التَّفسير والكشف
- الدَّعامة الثانية: الحدُّ والقاعدة وسيلة للوقوف على التَّشبيهات والاستعارات:
- الدَّعامة الثالثة: النّقل عن كتب اللُّغة والنَّحو والتَّفسير والأصول:
- الدَّعامة الرابعة: تنقيح الكشَّاف من المُخالَفَات العقدية:

المَبحَث الأوَّل

العَوامِل الفِكريَّة والثَّقافيَّة والعلميَّة المُؤثِّرة في الطِّيبي[1]

عاش شرف الدِّين الحسين بن عبد الله بن محمد الطِّيبيّ، صاحب حاشية "فتوح الغيب"، في النصف الثاني من القرن السَّابع، والنصف الأول من القرن الثَّامن الهجريين، في عراق العجم[2](إقليم خوزستان الإيراني)، وكانت تحت سيطرة المغول الايلخانيين[3]، في فترة عانت الدَّولة الإسلامية من التفكك وكثرة الصراعات العقائدية والفكرية والسياسية، لكنّها-على ما سبق- فترة عُرِفت بنبوغ عدد كبير من العلماء في شتى العلوم، وهي من أغنى فترات التأليف الإسلاميِّ، وظهر فيها علماء كِبار من أمثال: النووي، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وابن القيم الجوزية، والذهبيّ، وابن كثير وغيرهم، بل إنَّ من العلماء من كان موسوعةً علميةً يكتُب في شتى العلوم، أمثال: شرف الدِّين الطِّيبيّ والذي يقول عنه ابن حجر العسقلاني: "كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنة"[4].

المطلب الأول: النَّزْعَة التَدريسيّة عند الطِّيبيّ:

كان أضخم عمل علْمِي قام به شرف الدِّين الطِّيبيّ هو شرحه للكشّاف، ومما ذكره ابن حجر أنَّ الطِّيبيّ وعلى ضعفِ بصره في آخر حياته فقد كانملازماً للتدريس[5]،ويقول جلال الدِّين السِّيوطيِّ: "وكان يشتغل في التفسير من بُكرة إلى

(١) من خلال حاشيته على الكشاف، والتي دعته إلى تأليف تلك الحاشية.

(٢) ينظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، قدّم له د/ عبد المعين الشواف، جمعه وهذبه: أبو المظفر سعيد السناري، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ط١، ٢٠١٥م، ص٥٠٩.

(٣) الدولة الايلخانية (في العراق) قامت عام ٦٥٦هـ وسقطت عام ٧٣٦هـ على يد حسن بن حسين جلائر؛ لتقوم الدولة الجلائرية، وايلخان هو لقب هولاكو مؤسس هذه الدولة بعد سقوط الدولة العباسية، والدولة الايلخانية هي ولاية ضمن الولايات الكثيرة الخاضعة للمغول، وأفضل سلاطين هذه الدولة محمود غازان (٦٩٥- ٧٠٤هـ) الذي أسلم وأصبحت الدولة بإسلامه مسلمة. ينظر: التاريخ الإسلامي "العهد المملوكي"، محمود شاكر، ص١٦٩ -١٨٢.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ٢/ ٦٩.

(٥) ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الظهر،ومن ثم إلى العصر في الحديث إلى يوم مات، فإنَّه فرغ من وظيفة التفسير وتوجّه إلى مجلس الحديث، فصلّى النافلة وجلس ينتظر الإقامة للفريضة، فقضى نحبه"[١]،أي أنّ للطّيبيِّ تلاميذ يلتفون حوله ليأخذوا من علمِه، وهذا السبب فيما أراه هو الذي جعل الطِّيبيّ يشرح الكشّاف هذا الشرح الكبير، فقد كان الكشَّاف يُدرَّس في العراق وفي غيرها من البلدان الإسلامية، وكان مَدار اهتمام المُعلِّمين و طُلاب العلم، ويدلُّ على تلك المكانة للكشاف قول الطِّيبيِّ: ""الكشَّاف عن حقائق التنزيل"، مُصَنَّفٌ لا يَخفى مِقداره، ولا يُشَقُّ غُباره. اتَّضحَ بيانُه، وأضاءَ بُرهانه، وعمَّت أضواؤه، وانجلَت سماؤه، تغرَقُ الأفكارُ في بحارِ عباراته، ولا تَنتهي الأوهامُ إلى ساحل إشاراته، هزَّت أريحيَّةُ الفَضلِ من أعطاف الفضلاء، لاعتلاء ذُروَتِه الشامخة"[٢]؛ ولشهرته في الآفاق واعتناء المحققين بالكتابة عليه[٣] توجَّه الطِّيبيّ للتَّحشية عليه؛ ليُسهِّله لطلابه، ويُنقِّح ما فيه، فعقل المُعلِم المُتميّز الذي يختار لطلابه المتن الجدير بالتدريس، فهذا الكشّاف هو تفسيرٌ للقرآن، والقرآن هو "قانون الأصول الدينية، ودستور الأحكام الشرعية، والمختص من بين سائر الكتب بصفة البلاغة"[٤]،والمُفسِّر الذي كانت مطامح نظره، ومسارح فكره، الجهات التي تضمنت لطائف النكت المكنونة، واشتملت على أسرار المعاني المصونة، هو الزمخشري في كشافه؛ إذ كانت عناية الزمخشريِّ قائمة على استخراج محاسن النُّكت ولطائف المعاني التي تُستعمَل فيها الفِكر، وبيان ما في القرآن من الأساليب البيانية لذلك اتّجه الطِّيبيِّ إليه[٥]؛ ليأخذ المُتعلِّم منه ما ينفعه، ويقف على أسرار البلاغة القرآنية فيه، ويَسكُب الطِّيبيّ في معالجته له من عقله وعلمِه الكثير.

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدِّين السيوطي، ١/ ٥٢٣.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الريب، شرف الدين الطيبي، تحقيق مجموعة من العلماء والباحثين، مقدمة التحقيق: إياد أحمد الغوج، القسم الدراسي: جميل بني عطا، منشورات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ، ١/ ٦١١.

(٣) ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، ٢/ ١٤٧٧.

(٤) فتوح الغيب، ١/٦١٠.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ١/ ٦١٠.

والنزعة التدريسية واضحة عند الطِّيبيّ؛ فقد ذكر وعرض في تحليله لمقدِّمة الكشّاف تعريفاتٌ وحدود، ومن المعلوم أنَّ للمصطلحات والتعريفات أهمية كبيرة من الناحية المنهجية والتدريسية، حيث عرّف القرآن لُغةً واصطلاحاً، وفرّق بين النَّظم والتَّأليف، وبين الفصاحة والبلاغة، وعرّف المُحكَم والمتشابِه، وبيّنَ السورة والآية والمراد بالفاصلة، ومعنى المُعجِزة، وذكر حدَّ علم الفقه، وعلم الكلام، ومدار اهتمام النَّحو واللُّغة، وعرّفَ بعلمِي المعاني والبيان ووضَّحَ مكانتهما، وعلى ذلك فقد استثمرَ مُقدِّمة الكشاف ليكشف عن أهم المفاهيم والمصطلحات التي تُعين القارئ في فهم الحاشية وفهم الكشاف.

ووضع الطِّيبيّ المفاهيم والأفكار الرَّئيسيّة التي لا بدَّ أن يستحضرها المتلقي وهو يقرأ الحاشية، من التفريق بين التَّفسير والتَّأويل، وبين التَّأويل المحمود والتَّأويل المذموم، وإلى أيّ نوعٍ يُمكِن تصنيف كشّاف الزمخشريّ؟، ووجه الإعجاز عند الزمخشريّ المتمثل في الفصاحة والبلاغة، والإخبار عن المُغيّبات، ومذهب الزمخشريّ، و ذكر سبب تسمية المعتزِلة أنفسهم بأهل العدل والتوحيد بقوله: "لأنَّهم نفوا صفات الله التي أثبتها الأشاعرة القدماء؛ لئلا يلزَم التعدُّد في القديم المقابل للتوحيد، و أوجبوا على الله تعالى الثواب والعقاب على الطاعة والمعصية؛ لئلا يلزم الظلمُ المقابل للعدل"(١)

ومن هنا نجد أنَّ الطِّيبيّ اغتنمَ مقدِّمة الكشَّاف ليغرِس أهم المصطلحات والمفاهيم في أذهان المُتلَقين ممن يعرفها أو يجهلها، فهي أساسيات ومفاتيح لا بدَّ للمُعلِم أن يتطرّق لها قبل أن يلِجَ في المتن الذي يرغب في تدريسه، وهذه طريقة الطِّيبيِّ في كتابه "الكاشف عن حقائق السنن" حيثُ صدّره بمختصر جامع يُعين القارئ على معرفة علم الحديث، من بيان لأصول الحديث ومصطلحاته، وأقسام الحديث، والجرح والتعديل وكلُ ما لهُ علاقةٌ بعلم الحديث.

وفي أثناء تفكيكه للنَّص نجد تراجم للشخصيات والأعلام الذين يذكرهم الزمخشري، مستعينًا بكتب التراجم وغيرها؛ كالاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن

(١) فتوح الغيب ، ١/ ٦٦٩.

عبد البر[١]، وهو كتاب في ترجمة الصحابة رضوان الله عليهم، وهو من أوائل الكُتُب التي ترجمت للصحابة؛ يقول مؤلِّفه في مقدمته: "إن أولى ما نظَر فيه الطالب، وعُني به العالم – بعد كتاب الله عز وجل– سنن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فهي المبيّنة لمراد الله عزَّ وجل من مُجْملات كتابه، والدالةُ على حدوده، والمفسرة له، ... ومن أوكَدِ آلاتِ السنن المعينة عليها، والمؤدية إلى حفظها، معرفة الذين نقلوها عن نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كافة، وحفظوها عليه، وبلّغوها عنه"[٢] .

وفي ترجمة الطِّيبي للصحابة –رضي الله عنهم – تعريفٌ للطالب بهم، ومساعدة له في الكشفِ عن مقاصد النُّصوص، فكما قال صاحب الاستيعاب فإنّ السُّنة مُبيّنة للقرآن، ولا بدَّ من معرفة مَن نقلوا السُّنة عن نبيهم؛ فهي آلية من آليات فهم النَّص، وعندما يذكرهم الزمخشريّ فقد أوجبَ على الطِّيبيّ التعريف بهم، ورجع الطِّيبي إلى كتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير الجزري[٣] ؛ ليقتبس منه تعريفًا لشخصيةٍ ما حتى وإن وردتْ في بيت شعري، وترجمَ لعلماء اللُّغة والأدب كالخليل بن أحمد، وأبي علي الفارسي من كتاب "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" لابن الأنباري[٤]وغيرها من الكُتُب.

---

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الإمام، العلّامة، حافظ المغرب، الأندلسي، القرطبي، المالكي، له: الكافي في مذهب مالك، التقصي في اختصار الموطأ، المغازي، الكُنى، توفي سنة ٤٦٣ه. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص ٤٢٧٢– ٤٢٧٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ، ١/ ١.

(٣) هو: المبارك محمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات الجزري، المشهور بـ"ابن الأثير"، له من التصانيف: النهاية في غريب الحديث، جامع الأصول في أحاديث الرسول، البديع في النحو، الباهر في الفروق في النحو، تهذيب فصول ابن الدهان، الإنصاف بين الثعلبي وصاحب الكشاف، توفي سنة ٦٠٦هـ. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ٢/ ٢٧٤– ٢٧٥.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، أبو البركات كمال الدّين الْأَنْبَارِي النَّحْوِيّ، وَله المؤلفات المشهورة؛ منها الْإِنْصَاف فِي مسَائِل الْخلاف بَين البصريين والكوفيين، الإغراب في جدل الإعراب، ميزان العربية، حواشي الإيضاح، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تَصَرُّفَات لَو؛ حلية العربية، توفي سنة ٥٧٧ه. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ١/ ٨٦، ٨٧.

وأبان عن معاني الألفاظ والأبيات، والأوجه الإعرابية للتراكيب، والجمل وروابطها، وذكر الأخبار والآثار، والقراءات القرآنية، ووقف عند الأحكام الفقهية والأصول الدينية؛ كلُّ ذلك ليُقرِّب العلوم لعقول الجيل الذي هو منه، حيث نجد الفقه والنَّحو والصرف والبلاغة والتَّفسير والأصول والعقائد، يأخذ منها ما يخدم حاشيته، وفي ذكره للمصادر التي ينقل عنها تعويدًا للطالب على أصول البحث العلميِّ، والأمانة العلميَّة، وفي الحاشية جمعٌ بين النظريُّ والتطبيقيّ، وإن كانت كتُب البلاغة وعلمائها المُتقدِمين وقفوا عند آيات قرآنية مُحددة وحللوها وأبانوا عن البلاغة فيها، وفي ذلك تكرار للأمثلة النَّصية إلَّا أنَّ في حاشية الطِّيبيِّ وفي غيرها من الحواشي ميزة لا توجد في كتب السابقين؛ إذ يتمكَّن الطالب عند دراستها من الوقوف على بلاغة القرآن الكريم كاملًا، وفي ذلك تربية للتذَّوق البلاغيِّ، والانتقال من الوقوف عند آيات إلى الوقوف عند بلاغة ترابط الآيات، وبيان ترتيب الآي والسُّور.

إنَّه في الحاشية عالِم ومُعلِّم، يختار الكتاب بعناية، ويشرحُه لطلابهِ ويُفصِّل مُجمَله، وييسر صعبه، ويتَّخذ منه وسيلة لتشريب المعارف والمضامين، وتلقين الخبرات، وتنمية المهارات.

المطلب الثاني: فُتوح الغَيب لعبد القَادِر الجِيلَانيّ المتوفى سنة ٥٦١هـ:

يشترك هذا الكتاب مع حاشية الطِّيبيّ في العنوان، فقد ذكر حاجي خليفة في كتابه "كشف الظُّنون عن أسامي الكتب والفنون" هذا الكتاب، وكان عنوانه مُشابِهًا لعنوان حاشية الطِّيبيّ، وهو لعالِم من القرن السادس، أي أنّه سابقٌ لحاشية الطِّيبيّ، وقد يكون الطِّيبيّ استقى عنوانه منه، وعبد القادر الجيلاني تُنسَب إليه الطريقة القادرية إحدى طُرُق التَّصوف[1] التي لها أصول وقواعد خاصة بها،

(١) يقول ابن تيمية: "تنازع الناس في طريقهم؛ فطائفة ذمت "الصوفية والتصوّف" وقالوا: إنّهم مبتدعون خارجون عن السنة، ... وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنّهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. و "الصواب" أنّهم مجتهدون في طاعة الله ... ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، ... ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه". فقه التصوّف لشيخ الإسلام ابن تيمية، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص١٩.

والتصوّف أصله العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن الدنيا. ينظر: مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ص٥٥٧.

وللجِيلانيّ العديد من المؤلفات [١] منها: فتوح الغيب، والفيوضات الربانية، والرسالة الغوثية، ويُذكَر تأثُّر الشيخ عُمَر السُّهروردي[٢] به، " قال ابن النَّجار: سمعتُ شيخَ الصوفية عمر بن محمد السُّهروردي يقول: كنت أتفقّهُ في صيباي، فخطرَ لي أن أقرأ شيئاً من علم الكلام، ... فصليتُ مع عمي أبي النّجيب، فحضر عنده الشيخ عبد القادر مسلّماً، فسأله عمي الدعاء لي، وذكر له أنّي مُشتغلٌ بالفقه، وقمتُ فقبّلتُ يده، فأخذ يدي وقال: تُبْ مما عزمتَ عليه من الاشتغال به"[٣]، ولعلَّ تأثُّر الطِّيبيِّ بالسُّهروردي جعلَهُ يتأثَّر بالجيلانيِّ الذي تأثَّر به شيخُه ويقتبس من عنوان كتابه.

وفُتُوح الغيب للجيلانيّ هي مقالات في العقائد والإرشاد، يقول في مقدمتها: "فإنّ نعم الله علي كثيرة متواترة، ... فلا يدان لي ولا جنان ولا لسان في إحصائها وأعدادها، ... فمن جملة ما مكن عن تعبيرها اللسان، وأظهرها الكلام وكتبها البنان، وفسرها البيان، كلمات برزت وظهرت لي من فتوح الغيب فحلت في الجنان، فأشغلت المكان، فأنتجها وأبرزها صدق الحال"[٤].

والفُتُوح في مصطلحات التَّصوف الإسلاميّ "هو كل ما يُفتح على العبد من الله بعدما كان مغلقًا عليه من النِّعم الظاهرة والباطنة والأرزاق والعبادة والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك"[٥]، أو هو " ما بزغ عن الغيب عند زوال

(١) هو أبو محمد عبد القادر ابن أبي صالح، قال عنه الذهبي: هو "الشيخ، الإمام، العالِم، الزاهد، العارف، القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء"، توفي سنة ٥٦١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٢٣٠٩- ٢٣١٠.
وينظر في ترجمته: كتاب فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني، مع تعليقات شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العليم محمد الدرويش، دار الهادي، مكتبة دار الزاهر، ترجم له المحقق، ص ٩- ١٤.

(٢) عمر بن محمد السّهروردي، شهاب الدين أبو حفص، صحِبَ عمه الشيخ أبا النّجيب ولازمه وأخذ عنه الفقه والوعظ والتصوّف، وصحِب قليلاً عبد القادر الجيلانيّ، قال ابن النجار: كان شهاب الدين شيخ وقته في علم الحقيقة، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين، قرأ الفقه والخلاف والعربية، توفي سنة ٦٣٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٢٩٢٥- ٢٩٢٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣١٢.

(٤) كتاب فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني، ص ٤٠- ٤١.

(٥) موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٧٠٦.

الحجاب، وهو شامل لجميع الحقائق المذكورة من العلوم والأسرار والأنوار والمواهب والفيوضات وغيرها، وكل ما كان العبد محجوبًا عنه وانفتح له فيه فهو فتح"[١]، و الغيب كل ما سُتِر عن العبد، والجيلاني يقول بأنَّ كتابه من النعم التي أنعم الله بها عليه؛ إذ هو عبارة عن كلمات ظهرت له من فُتُوح الغيب فحلت في القلب وأشغلته فأنتجها وأبرزها صدق الحال.

وقد ذكر العسقلاني أنَّ شرف الدِّين الطِّيبي كان ذا ثروة من الإرث والتجارة فلم يزل ينفق ذلك في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيرًا [٢]، وهذا الجانب يدلُّ على زهده وإعراضه عن الدُّنيا وملذاتِها، وعكوفه على العلِم والتدريس، الذي أثمر من بين ما أثمرَهُ الحاشية التي بين أيدينا.

ومن خلال حاشيته نلمس التَّصوف المعتدل وهو ما يُسمى بالتصوف السُّنيِّ، وقد نقل عن تفاسير الصوفية مثل تفسير "حقائق التفسير" لأبي عبد الرحمن السُّلميِّ[٣]، حيث نقل –على سبيل المثال– قول السّلميِّ في معنى قول الله: " إنّ الأسماء كلها داخل في هذا الاسم خارجٌ منه، يخرج من هذا الاسم معنى الأسماء كلُّها، ولا يخرج هذا الاسم من اسم سواه وذلك أن الله عز وجل يفرد به الاسم دون خلقه وشارك خلقه في اشتقاقات أساميه"[٤]، ونقل من "لطائف الإشارات" للقُشيريّ [٥]، وهو تفسير يقول عنه شوقي ضيف: "وفي الاتجاه الصوفي تفسير القشيري وهو في تفسيره كعقيدته صوفي سني، بعيد عن متاهات الاتحاد بالذات العلية ووحدة الوجود مما يلجُّ فيه بعض متفلسفة الصوفية، وتغلب

---

(١) قاموس المصطلحات الصوفية، أيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٨١.

(٢) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ٢/ ٦٩.

(٣) محمد بن حسين بن محمد بن موسى السلمي، كبير الصوفية، صاحب التصانيف، توفي سنة ٤١٢هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٣٤٠٦.

(٤) حقائق التفسير تفسير القرآن العزيز، عبد الرحمن السلمي، تحقيق: سيد عمران، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، ١/ ٣١.

(٥) يُنظر مثلاً: فتوح الغيب، الطيبي، ١/ ٧٢٧.
القُشيري هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك الشافعي الصوفي المفسّر، توفي سنة ٤٦٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ص ٢٣٢٧.

عليه روح الوعظ"[١].

ونقل من كتاب "مفَاتيح الحُجَج" حيث أورد:" وقال الشيخ أبو القاسم القُشيري في كتاب "مفاتيح الحجج ومصابيح النّهج": اللُطف قدرة الطاعة على الصحيح، ويُسمّى ما يُقرِّب العبد إلى الطاعة ويوصل دواعيه إلى الخير أيضاً لُطفاً... "[٢].

وهذا ما يؤكِّد وجود النزعة الصوفية عنده، والتي ذكرها عدد من الباحثين ممن تحدث عن الطِّيبيّ [٣]، لكنَّها نزعة صوفية معتدلة؛ انطلاقًا من عنوان الحاشية واستشهاده بتفاسير الصوفية، وورود ألفاظ ومصطلحات صوفية، منها قوله في ذكره لأنواع العلوم المشتملة عليها سورة الفاتحة وهو العلم الثالث: "علم ما به يحصل الكمال، وهو علم الأخلاق. وأجلُّه الوصول إلى الحضرة الصمدانية والالتجاء إلى جناب الفردانية، والسلوك لطريقه والاستقامة فيها، وإليها الإشارة بقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ " [٤]، وللصوفية عبارات تفردوا بها منها العبارة السابقة "الوصول إلى الحضرة الصمدانية"، ويقول في موضع آخر: " ويمكن أن يُعبَّر بلسان أهل العرفان ويُقال: "إن الحمد مبادئ حركة المريد، فإنَّ نفس السالك إذا تزكت، ومرآة قلبه إذا انجلت فلاحت فيها أنوار العناية – وهي العناية التي أوجبت الولاية– تجرّدت النفس الزكية للطلب، فرأت آثار نعم الله عليها سابغة، وألطافه غير متناهية، فحمدت على ذلك وأخذت في الذكر، فكُشِفَ لها الحجاب من ما وراء أستار العزة عن معنى ربِّ العالمين، فشاهدت ما سوى الله على شُرُف الفناء، مفتقرة إلى المُبقي محتاجة إلى التربية؛ فترقت لطلب الخلاص من وحشة الإدبار وظُلمة السكون إلى الأغيار..."[٥].

---

(١) عصر الدول والإمارات الجزيرة العربية – العراق– إيران، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص٥٤٨.

(٢) فتوح الغيب، ٢/ ١٤١.

(٣) منهم الدكتور جميل بن عطا، المرجع السابق، ١/ ١١٤.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٦٧٨.

(٥) المرجع السابق، ١/ ٧٤٩.

والعرفان هو ما يصبو إليه التصوف فهو معرفة قلبية بالله تحصل نتيجة السلوك القلبي، وإذا طلب العارف الواصل الهداية عَنَى به: "أرشدنا طريق السير لتمحو عنَّا ظلمات أحوالنا وتُميط غواشي أبداننا؛ لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك"(١)، ومن المصطلحات الصوفية الواردة في الحاشية التَّحلِية والتَّخلِية، والتَّحلِية تعني أن يكون الإنسان قد تحلَّى وتجمَّل بأعمال الخير والصلاح، والانتساب إلى قومٍ محمودين في القول والعمل، والتَّخلِية تعني الإعراض عن الأشغال المانعة للعبد عن الله، و ترقية النفس وتطهيرها من كل الرذائل والشوائب، واختيار الخلوة والعزلة(٢).

ويُضيف تفسيرًا صوفيًا لبعض الآيات مثالُه: عندما وقف على تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] وهو ما يُسمى بالتفسير الإشاري: " وقال بعض المحققين في الآية: وممَّا خصصناهُم من أنوارِ المعرفة يُفيضون"(٣)، فهو عندما فسّر ظاهر الآية، نقل تفسيرًا باطنيًا منتقلاً من هذا الظاهر، والمتصوفة يرون أنَّ النصوص تتضمن إشارات خفية إلى معانٍ دقيقة، واهتموا بهذه الإشارات وفسّروا القرآن تفسيرًا باطنيًا بناءً على التفسير الظاهري، ظاهر النص يشير إلى الباطن، ولولا الظاهر لما تمَّ التوصل إليه.

ونجد استشهاد بكلام الغزالي(٤) وبالتحديد من كتاب "إحياء علوم الدين" والذي حلل فيه أبو حامد الحياة الدينية والأخلاقية للمسلم على مبادئ تُستمَد من التَّصوف وروحه، ومن أوائل من نقل عنهم الطِّيبيّ من الصوفية في حاشيته أبو حفص السُّهْرَورديّ، واستشهاده به هو الذي جعلَ الباحثين يذهبون إلى القول

(١) فتوح الغيب، ، ١/ ٧٥٤ نقلاً عن البيضاوي في أنوار التنزيل.

(٢) ينظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، ص ١٦٨- ١٦٩.

(٣) فتوح الغيب، ٢/ ٩٦.

(٤) أبو حامد محمد بن محمد الشافعي الغزالي، ألّف "الإحياء" و "القِسطاس" و "محكّ النظر"، توفي سنة ٥٠٥هـ، يقول الذهبي: الغزالي الشيخ الإمام البحر، أعجوبة الزمان، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٣٧٧٦.

بتصوفِه بل بتلمَذَتِه على يد السُّهروردي، فقد عبّر عنه بقوله "شيخنا"[١] في مواضع كثيرة؛ مثل: "ولشيخنا إمام الموحدين أبي حفص السُّهرورديِّ كتاب مسمى بـ "الرشف في نصائح الإيمانية، والكشف عن فضائح اليونانية""[٢]، و"قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السُّهروردي قُدِّس سِرُّه: إن النفوس مجبولةٌ على غرائز وطبائع هي من لوازمها وضرورتها خُلقت من ترابٍ من حمأ مسنون، ولها بحسب تلك الأصول التي هي مبادئ تكوّنها، صفات من البهيمة والسبعية والشيطنة"[٣]، و "قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السُّهروردي قُدِّس سِرُّه: لـمَّا رأى أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه الباكي عند قراءة القرآن، قال: هكذا كُنَّا حتى قَسَت القُلُوب..."[٤] ، والذين ترجموا وتتبعوا آراء السُّهروردي الاعتقادية ذهبوا إلى أنَّ تصوُّفه كان نقيًا من البِدَع والانحرافات التي ظهرت في الصوفية المتأخِّرة[٥]، وتعبير الطِّيبيّ عنه بشيخنا دليل على تأثُّرِه به وبأفكاره، يقول السّيوطي: " قلتُ: ذكر في شرحه على الكشّاف أنه أخذَ عن أبي حفص السهروردي، وأنه قُبيل الشروع في هذا الشرح رأى النبي في النوم، وقد ناوله قدحاً من اللبن، فشرب منه"[٦].

وقد درسَ الباحث صادق سليم المصادر العامة للتلقي عند الصُّوفية ذاهبًا إلى أنَّ المصدر الأول هو الكشف، ويدخل تحت مسماه أنواع منها الرؤى المنامية مُستدلاً بقول ابن تيمية [٧]: " فما كان من الخوارق من باب العلم، فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره. وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره: يقظةً ومناماً...

---

(١) ينظر: فتوح الغيب، ١/ ٦٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٣/ ٢١.

(٣) المرجع السابق، ٣/ ٤٣- ٤٤.

(٤) المرجع السابق، ٧/ ١٢.

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص ٢٩٢٥.

(٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ١/ ٥٢٣.

(٧) ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا، صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ، ص ١٨٣، ٢١٨.

ويسمى كشفاً"[1] .

ولم أقع على بِدع صوفية في الجزء المدروس من الحاشية، بل هي مجرد نُقُول عن كتب الصُّوفيّة، وورود أعلام اشتهروا بالتصوّف، وقد يبني على كلام العالِم منهم قوله، كما بنى على كلام أبي حفص السابق عن الغرائز والطبائع، وعن الصفات المجبولة عليها النفوس قوله: " وقلتُ: من الشيطنة نشأ الحسد، ولهذا قال المارد: خلقتني من نار، وخلقته من طين، والنارية في الإنسان من قوله تعالى: ﴿ كَالْفَخَّارِ ﴾"[2]، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار، علاوةً على ذلك فقد كان التَّصَوف السُّنيِّ مزدهرًا في عصر الطِّيبيّ في إيران وغير إيران من العالم الإسلامي، بفضل بعض أعلامه منهم الغزالي والقشيري وغيرهم[3].

المطلب الثالث: مؤلفات جَارُ اللَّه الزمخشَرِيّ المتوفى سنة ٥٣٨ هـ:

من العوامل العلميَّة التي اتَّضح تأثيرها في شرف الدِّين الطِّيبيّ هي مؤلفات الزَّمخشريِّ عالم التّفسير واللُّغة، بغض النظر عن المتن المشروح، فقد اعتمد الطيبي على "أساس البلاغة" في تفسيره للألفاظ فكان كثيرَ النقل منه، بل إنَّ الزمخشري يقول: "ولـمَّا أنزل الله كتابه مختصًا من بين الكتب بصفة البلاغة التي تقطّعت عليها أعناق العِتَاق السُّبق، وونت عنها خُطا الجِياد القُرّح، كان الموفق من العلماء الأعلام، أنصار ملّة الإسلام، الذّابّين عن بيضة الحنفيّة البيضاء، ... من كانت مطامح نظره، ومطارِح فكره، الجهات التي تُوصِّل إلى تَبيُّن مراسِم البلغاء، والعثور على مناظم الفصحاء، ... وإلى هذا الصواب ذهب عبد الله الفقير إليه، محمود بن عمر الزمخشري، عفا الله عنه، في تصنيف

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ، كتاب التصوف، ١١/ ٣١٣.

(٢) ينظر: فتوح الغيب، ٣/ ٤٤.

(٣) ينظر: عصر الدول والامارات، شوقي ضيف، ص٥٤٨، وينظر: الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، محمد مفيد آل ياسين، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٩هـ، ص٨٧.

أساس البلاغة"[١]، ويأخذ منه الطِّيبيّ الكلام السابق مع تغييرات طفيفة لبعض العبارات ويضعها في مقدمته؛ حيث يقول: "وهو المختص من بين سائر الكتب السماوية بصفة البلاغة، التي تقطَّعت عليها أعناق العِتاق، وونت عنها خُطى الجياد في السِّباق، والموفَّق من العلماء الأعلام، وأنصار مِلة الإسلام من كانت مطامح نظره، ومسارح فكره، الجهات التي تضمن لطائف النُّكت المكنونة، واشتملت على أسرار المعاني المصونة، فلم يُوفّق لتصنيف أجمع لتلك الدقائق، وتأليف أنفع لدرك تلك الحقائق، ...إلا الحبر الهُمام: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ"[٢]، فنلحظ أنّ الزَّمخشريِّ لم يوفّق إلى وضع مُصنّف يوصِل إلى تبيُّن مراسم البلغاء، والعثور على مناظم الفصحاء فحسب، بل وفِّقَ أيضًا إلى وضع مُصنّف في تفسير القرآن يتضمّن لطائف النُّكت المكنونة، و يشتمل على أسرار المعاني المصونة، وهذا دلالة على نبوغ الزمخشري وعلى تأثيرهِ في معاصريه، وفي غير معاصريه ممن جاء بعده.

ورجع الطِّيبيّ في حاشيته إلى كتاب "الفائق في غريب الحديث" وهو كتاب لغة، التزم فيه الزَّمخشريِّ إيراد الكلمات الغريبة من الأحاديث أو الآثار، مُرتبة على حروف المعجم، وقد حوى الفائق نصوصًا أدبية نادرة، وهو حين يفسِّر كلمة أو يُبيّن معنى عبارة يبث آراءه في النَّحو والبلاغة، ويستشهد بكثير من كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم[٣]، و الزّمخشَريّ أورد في كشّافه أنّ لفظي الحمد والمدح أخوان[٤]، والطِّيبّي يوضّح أنّ مقصود أبي القاسم من لفظة أخوان أنَّهما متشابهان لا مترادفان؛ لأنَّ لفظ الأخ يُستعمل في المشابهة، مُستدِلاً في ذلك

(١) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، صفحة المقدمة.
(٢) فتوح الغيب، ١/ ٦١٠.
(٣) ينظر: الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، ١/ ٤، ٥ مقدمة التحقيق.
(٤) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ، ص٢٧.

بالفائق والذي يقول فيه جار الله: " كأخ السِّرار: أي: كلاماً كَمِثل المُسارَّة، وشبَّهها به لخفض صوته" [١]، ويستعين بـ" الفائق" في شرح الأحاديث التي يذكرها الزمخشري؛ فقولهﷺ: "حم لا يُنصرون"[٢] : " والذي يؤدي إليه النظر في معنى هذا الحديث: أنّ السُّور السبعَ التي في أوائلها " حم" سُورٌ لها شأنٌ..."[٣]، و "عن ابن مسعود: إذا قال الرجل لامرأته: استفلحي بأمرك والحقي بأهلك، فقبلت، فواحدة بائنة. أي: استبدي به، واقتطعيه إليك من غير أن تنازعيه"[٤].

ونقل عن " المفصل في صنعة الإعراب" وهو كتابٌ ألّفهُ الزَّمخشَريّ في النَّحو، ومنذ تأليفه أقبل عليه العلماء يتدارسونه ويشرحونه، يقول الطِّيبيّ: " ولعلَّ لهذا السر قدّم في المفصل الوصف على العلم"[٥]، ومطالعته لمؤلفات الزّمخشَريّ، والتي لها طريقة خاصة في التأليف، كانت عامِلًا مؤثّرًا في عقليته، حفّزته على النظر، فهو لا يأخذ العِلم فقط من كتب العلماء، بل هو ينظر في طريقة تفكير هؤلاء العلماء، وكيف صنعوا المعرفة؟ وكيف ألّفوا وكتبوا؟

واستدلَّ بأقوال الزّمخشَريّ التي أوردها في "مُقدِّمة الأدب"، كما نقل عن "المستقصي في أمثال العرب"، فكان الزَّمخشريِّ بمؤلفاته عامِلًا كوّن الطِّيبيّ، بل إنَّ تنوّع مؤلفات الزّمخشَريّ، وغيره من العلماء، بين التَّفسير والنَّحو واللُّغة والأمثال والأدب كانت زادًا يستقي منها الطِّيبيّ في حاشيته، ليربط تلك المؤلفات بعضها ببعض، وليؤلِّف هو بالتالي في مختلف العلوم، فلا يقيّد نفسه في إطار علمٍ واحد، كما أنَّ حاشيته موسوعة حوت من شتى العلوم.

ولم يكن تأثير الزَّمخشريِّ في الحاشية فحَسْب، بل إنّ دارس ومحقق كتاب "الكاشف عن حقائق السنن" ذهب إلى أنَّ الطِّيبي تأثَّر بالزمخشري تأثرًا بالغًا في هذا الكتاب، وقد ملأه بحشد كبير من النُّصوص التي ينقلها من الكشَّاف، ومن

(١) فتوح الغيب، ١/ ٧١٧، وينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ١/ ٢٧.
(٢) سنن أبي داود كتاب الجهاد، في الرجل ينادي بالشعار، رقم الحديث (٢٥٩٧)، ٣/ ٣٣.
(٣) فتوح الغيب، ٢/ ٢٦، وينظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ١/ ٣١٤- ٤١٥.
(٤) فتوح الغيب، ٢/ ١١٨.
(٥) المرجع السابق، ١/ ٧٣٢.

الفائق في غريب الحديث وأساس البلاغة وغيرها. [١]

المطلب الرابع: ازدهار الشُّروح والتلخيصات في القرنين السابع والثامن الهجريين:

الناظر في الثقافة الإسلاميّة يجد الشُّروح تُمثِّل جزءًا كبيرًا من التَّأليف، فقد كان العلماء يتَّجِهُون إلى الكُتُب يشْرَحُون ويُضيفُون ويَنقُضُون ويُدلِلُون ويُعلِّلُون، وفي هذا دلالة على أنّ الحضارة الإسلاميّة حضارة شارحه ومُعلِّمه للبَشَر، وهي ذخيرة التراث الإسلاميِّ وعموده الفقري، تتجلى فيها الوحدة الإسلاميَّة، وتختفي التباينات والفروق المذهبيّة والإقليميّة[٢]، وكان القرنان اللذان عاش فيهما الطِّيبيّ من أكثر القُرُون التي ازدهرت فيها الشُّرُوح، وهذا ما دعاه إلى سلوكِ هذا المسلك في التأليف.

إنَّ الطِّيبيّ حين يشرح الكشَّاف كان ينظر في شروح الأئمة والعلماء ومختصراتهم حتى ينظر في الآراء وينقل ما يُعبِّر عن وجهةِ نظره، أو ما يَذهبُ إليه، أو ما يرى أنّه الأقربُ للصواب، وقد ينقل القول والقول المناقض له، أو يتعقّبه، ويترك للقارئ حرية اختيار القول الذي يراه أقربُ للصِّحة، وينظر في المؤلَّفات التي اعتمدتَ على الكشَّاف في التأليف فشرحت واختصرت وتعقّبت، فينقل من حاشية الصحاح على الكشّاف، ومن الانتصاف بحاشية الكشّاف، والإنصاف، ومن أنوار التنزيل للبيضاوي، الذي كُتِبت حوله كثيرٌ من الحواشي، والمُعتمِد على الكشَّاف الذي يُمكِن أن يُعد حاشية على الكشَّاف، و من الفرائد للمابرنابازي[٣] وهو مختصر من الكشَّاف، ومن تقريب التَّفسير لقطب الدِّين الفالي[٤]، وهو تلخيص للكشَّاف، و فيه رجع إلى كثيرٍ من الشُّروح

---

(١) ينظر: شرح الطّيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السُّنن، تحقيق ودراسة: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة – الرياض، ط١، ١٤١٧هـ، ١/ ٣٧.

(٢) ينظر: جامع الشروح والحواشي، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤م، مقدمة كتبها جمعة عبد الله القبيسي ص٦.

(٣) فرائد التفسير لأبي المحامد فصيح الدين محمد بن عمر المابرنابازي، اختصر فيه الكشّاف. ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص١٢٤٢. لم أقف على ترجمة له.

(٤) محمد بن سعيد بن محمد بن أبي الفتح السيرافي المعروف بـ"الفالي"، صاحب شرح اللباب. هذا ما ذكره السيوطي في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ١/ ١١٢.

لكُتُبٍ أخرى غير الكشَّاف.

ومن خلال ذلك يُمكن أن تُعَد تلك الشُّروح والتلخيصات وازدهارها عامِلًا أثَّر في الطِّيبيِّ، وفي تأليفه للحاشية- والحاشية شرحٌ على شرح-، وكأنَّ العالِم في الثقافة الإسلامية لا يُريد أن يتخلّف عن سلوك مسلَك غيره من العلماء، بالإضافة إلى أنَّ تلك الشُّروح تُبيِّن مقدِرة العالِم ومدى تمكُّنِه من العلم، وفي الوقت نفسه تدلُّ على تنوع القراءات والتي لها علاقة بتنوع العقليات؛ قد يتفق العالِم وعالِم آخر في قراءة لنصٍ ما وقد يختلفا، وكلٌ منهما يُقدِّم حُججه وبراهينه.

المطلب الخامس: التعصُّب المذهبيّ العقديّ عند الزَّمخشَريّ:

يقول الزَّمخشريِّ : "ولقد رأيتُ إخواننا في الدِّين من أفاضل الفئةِ الناجية العَدلية، الجامعينَ بين علم العربية والأصول الدينية، كلَّما رجَعُوا إليَّ في تفسير آيةٍ فأبرزتُ لهم بعض الحقائق مِن الحجُب، أفاضوا في الاستحسان والتعجُّب، واستُطِيروا شوقاً إلى مصنَّفٍ يضُمُّ أطرافاً من ذلك" [(١)]، نجد أنَّ الدافع إلى تأليف الكشَّاف كان دافعًا عقَديًا، وطلباً من المُعتزِلة الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية – كما يقول- ، وعلى هذا كانت قراءة الزَّمخشريِّ محكومة بحمولة عقدية، وكانت أساليب البلاغة العربية أداةً في بعض المواضع لتطويع التَّفسير لخدمة مذهبه، وكان موقف المقترحين عليه بالكشَّاف الاستحسان والتعجُّب، وذلِك لأنَّ تفسير الزَّمخشري للآيات موافِقٌ لأصولِ مذهبهم، فكان تفسير الكشاف من أهم التفاسير التي جمعت بين اللُّغة وعلومها، والعقائد والتوحيد، لكن على مذهب المعتزلة.

وعندما جاء الطِّيبيِّ يُحشِّي على الكشَّاف لم يُسلِّم بتلك القراءة – على شُهرتِها وانبهار الكثيرِ بها- مُدرِكًا أنَّ الخطاب القرآني خطاب خاص، يحكم تأويله وتفسيره محددات وضوابط خاصة، وعلى تفسيره ينبثق الاعتقاد والعمل، ولا يُمكن أن تدخل الأهواء والنزعات في ذلك التَّأويل، وفي تحليله لخطبة الكشّاف أبان عن الفرق بين تأويل أهل الباطل الراجع إلى التأويل بالرأي المتحرر من كل

(١) الكشَّاف، ص ٢٣- ٢٤.

قيود، وتأويل أهل الحقّ المُحتكِم إلى ضوابط، ووضع الزمخشّري في عِداد التأويل الأول.

و ظهر تعصُّب الزّمخشَريّ لمذهبه، ومحاولته الدفاع عنه، ونشره جليّاً في كشَّافه، وهو ما دعا الطِّيبيّ إلى التَّحشية عليه، وقد عبّر الزّمخشَريّ عن طائفته بأنّها الفئة الناجية العدلية، ونتج عن تعصب الزمخشري لمذهبه أنْ قال : "يدفع في صدر من يلحد في صفاته"، وواجه الطِّيبيّ ذلك القول الفاحش الذي قاد الزّمخشَريّ إلى أن يجمع أهل الحقِّ مع الكفرة بالعطف، وخصَّ الإلحاد بهم، مُشنِّعًا عليه ذلك الاتجاه الذي وصل إليه(١)، وبثّ الزّمخشَريّ في الكشّاف قواعد وأصول وأفكار مذهبه؛ منها: القول بخلق القرآن، ووجوب الثواب على الله تعالى، ونفي الصفات، والمنزلة بين المنزلتين؛ فالفاسق عند المعتزلة هو الواقع بين منزلة الكفر والإيمان، ومدلول الرزق الذي لا يتناول الحرام، والعبد هو خالقٌ لأفعاله، ووجوب فعل الأصلح للعبد على الله، والقول بأنَّ الاسم غير المسمى، وغيرها من المسائل الاعتزالية.

وكان هذا الاختلاف العَقْدِيّ من أهم الأسباب التي أثَّرت في الطِّيبيّ، فالاختلافات لم تكن عاملًا مؤثِّرًا في الطِّيبيّ وحده، بل كانت عاملًا مؤثِّرًا في جميع العلماء؛ لأنَّ الاختلاف مدعاةٌ للبحث عن الحقيقة والدفاع عنها، والتَّمحيص والتَّفنيد، والتَّعقيب والتَّدليل، فيُمكِن أن يُعدَّ اختلاف مذهب الطِّيبيّ مع مذهب الزَّمخشَريّ، وتعصُّب الأخير لمذهبه، من أهم العوامل التي كانت سبباً في إنتاج هذه الحاشية الضخمة، وتدريس الطلاب للكشّاف يستوجِب على الأستاذ تبيين المزالق التي وقع فيها الزّمخشَريّ، والتي تخالف مذهب أهل السُّنة.

المطلب السادس: الكلام النفسيّ عند الأشاعِرة:

قال المعتزلة بأنَّ القرآن الكريم مخلوق، خلقه الله تعالى كبقية المخلوقات، وليس بكلامه على الحقيقة، حتى لا يستلزم التشبيه والمماثلة للمخلوق، إنّما هو كلام الله على المجاز، "وهكذا عمّت هذه الفتنة – فتنة القول بخلق القرآن– وإنكار

(١) ينظر: فتوح الغيب، ٢/ ٢١١.

صفات الله تعالى. وكانت الأمة حينذاك [١] طائفتين: طائفة أهل السُّنَّة وعلى رأسهم الإمام أحمد، وفرقة أهل البدع من الجهمية والمعتزلة"[٢]، ومذهب أهل السُّنَّة أنَّ كلام الله غير مخلوق؛ فالله تكلّم به على وجه الحقيقة.

و ظهر قولٌ ثالثٌ مال إلى أهل السُّنة في جانب، ومال إلى المعتزلة والجهمية في جانب آخر، فحاول الجمع بين القولين السابقين، "فأحدثَ بدعة القول بالكلام النفْسِيّ في خلق الكلام اللَّفظِيّ، ليرشد المعتزلة بأنَّكم إنْ أردتُم بخلق القرآن هذا القرآن العربي المحفوظ فأنتم على الحق وخصومكم على الباطل، وإن زعمتم أنَّ الله تعالى ليس له كلام نفسي فأنتم على الباطل وخصومكم على الحق، وقال لأهل السنة: إن أردتم بقولكم "إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق" الكلام النفْسِيّ الذي ليس فيه حرف ولا صوت، فأنتم على الحق وخصومكم على باطل، وإن أردتم أن هذا القرآن العربي كلام الله على الحقيقة وأنه غير مخلوق، فأنتم على باطل وخصومكم على الحق"[٣] ، ونُسِبت هذه البدعة إلى ابن كُلّاب[٤] والأشعري[٥] وأقرانهم.

---

(١) في عصر المأمون في القرن الثالث الهجري، يقول د. حسين مؤنس: "الخليفة المأمون عندما دخل في المسألة دخلها على أنها مسألة سياسة وسيادة ... وأحمد بن حنبل عندما قَبِل التحدي وخاض المعركة في مواجهة الخليفة كان يعرف أنها مسألة شريعة". تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ، ص٢١٠، ٢١١.

(٢) بدعة الكلام النفسي عرض ونقض، محمد عبد الرحمن الخميِّس، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمي، ع ٢٥، مجلة محكمة، ١٩٩٩م، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٣٤.

(٤) ابن كُلّاب، عبد الله بن سعيد القطَّان البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، ولُقِّبَ كُلاباً؛ لأنّه كان يجرُّ الخصم إلى نفسه ببيانه وبلاغته، أصحابه يُسمّون بالكُلّابية، لحِقَ بعضهم أبو الحسن الأشعري. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٢٣٩٣-٢٣٩٤.

(٥) الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق، العلّامة، إمام المتكلمين، برع في معرفة الاعتزال ثم كرهه وتبرّأ منه، وأخذ يردُّ على المعتزلة، توفي سنة ٣٢٤هـ. ينظر: المرجع السابق، ص٢٧٤١- ٢٧٤٢.

ومن هنا نجد أنَّ الأشاعرة المنسوبين للأشعريّ [١] أثبتوا صفة الكلام لله، وقالوا خلافًا للمعتزلة إنّ هذه الصِّفة ثابتة، قائمة بالله تعالى، ولكنَّهم فسروها بأنَّها معنى يقوم بذات الله، وسمُّوا هذا المعنى بالكلام النفْسِيّ، فكانت فكرة الكلام النفْسِيّ منسُوبة إلى الأشاعرة، وهم يوافقون أهل السُّنة [٢]في الرد على المعتزلة.

وقد وصف ابن حجر الطِّيبيّ بأنّه حَسَن المعتقد [٣]، وقال ابن خلدون: إنّ الطِّيبيِّ من أهل السنة [٤]، ويقول الدكتور يوسف العليوي: "وصفه بأنّه من أهل السنة المحضة فيه نظر، خاصة أن الذي وصفه بذلك ابن حجر، وهو ينسب إلى الأشاعرة، وابن خلدون أشعري، وقد نص في كتابه على أنّ الأشاعرة هم أهل السنة، فهل وصفه للطيبي بأنه منهم يعني أن الطيبي كان أشعرياً؟ ... الطيبي قد خالف الأشاعرة ووافق أهل السنة في بعض المسائل كتعريف الإيمان، ومال إلى رأي الأشاعرة في كثير من المسائل كالقدر والظلم ورؤية الله، ويذهب مذهب التفويض في الصفات وأوّل بعضها"[٥].

وفي رد الطِّيبيِّ على الزّمخشريّ في قوله بخلق القرآن، نلمس تأثير المذهب الكلامي الأشعري، لا سيّما وأنّ المذهب الأشعري ازدهر ازدهارًا عظيمًا

---

(١) لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلاب، ومال إلى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الإمام أحمد بن حنبل. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص ٢٧٤١، درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ، ٢/ ١٦.

(٢) أهل السنة والجماعة يثبتون صفات الله على الوجه اللائق بجلالة من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، وقد خالفهم في ذلك الأشاعرة فأخذوا ينفون كثيراً من صفات الله جل جلاله ويسمُّون نفيهم وتعطيلهم هذا تأويلاً، وأثبتوا سبع صفات هي: العلم، الحياة، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام، وغيرها من الصفات يؤلونها بإحدى هذه الصفات السبع، وأما المعتزلة نفوا جميع صفات الله عزّ وجل، وأثبتوا الذات مجردة عن الصفات.

(٣) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، العسقلاني، ٢/ ٦٩.

(٤) ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص٥٠٩.

(٥) التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين، يوسف عبد الله محمد العليوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ، ص ٧٦.

في إيران والعراق في عصر السلاجقة وما بعدهم[١]، أي من القرن السَّادس إلى القرن الثَّامن الهجري، وشملت فترة حياة الطِّيبي، وقد صرّح في حاشيته بفكرة الكلام النفسي في قوله: " ليمتاز عن الكلام النفسي عندنا، وموضحتان عند المصنف؛ لأن عندهم: لا كلام إلّا هذا، ولا وجود للكلام النفسي."[٢]، ويرى أنَّ القرآن أحقُّ الأشياء بعد الله تعالى بأن يوصف بالقديم لكونه قائمًا بذاته خارجًا منه[٣]، و في نزول القرآن ونقله لكلام الرازي[٤] والبيضاوي والمُعبِّر عن رأيه يقول: " لعل نزول الكتب الإلهية على الرسل عليهم الصلاة والسلام بأن يتلقفه الملك من الله تلقفًا روحيًا، أو يحفظه من اللوح المحفوظ، فينزل به إلى الرسول ويلقنه"[٥].

وهو لم يُصرِّح في تحليله لمقدمة الكشَّاف بما قاله الأشاعرة من أنَّ حروف القرآن ليست من كلام الله، ولكنَّه أورد مصطلح الكلام النفسيّ الذي قال به الأشاعرة، وفي ردِه على الزّمخشَريّ نلحظ أنّه يذهب إلى وجود نوعين من الكلام: الكلام اللفظي، والكلام النفسي؛ لأنّه قال: عندهم لا كلام إلّا هذا- يقصد الكلام المؤلّف المُنظّم الملفوظ- ولا وجود للكلام النفسيّ، والقرآن يُتلَقَف تلقُفًا روحيًا، أو يحفظه جبريل من اللوح المحفوظ، فينزل به إلى الرسول ﷺ.

ومن قولِه بالكلام النفسيّ نرى أنَّ المذهب الكلاميّ الأشعريّ من العوامل الفكرية المؤثِّرة في الطِّيبيّ، ونقلِه عن البيضاوي والرَازيّ وغيرهم من الأشاعرة

---

(١) يُنظر: عصر الدول والإمارات، شوقي ضيف، ص٥٥٥، وينظر: الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، محمد مفيد آل ياسين، ص٢٦.

(٢) فتوح الغيب، ١/ ٦١٩.

(٣) فتوح الغيب، ١/ ٦٢٧.

(٤) أبو بكر الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الطّبرستاني، فخر الدين الأصولي المُفسِّر، من تصانيفه: مفاتيح الغيب، معالم أصول الدين، المحصول في علم أصول الفقه، ولباب الإشارات، وله مصنف في مناقب الشافعي، توفي سنة ٥٦٠٦. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٣٦١٠، وينظر: وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ، ٤/ ٢٤٨- ٢٥٢.

(٥) فتوح الغيب، ١/ ٦١٥.

دليلًا آخر على ميلِه للمذهب الأشعري، وتأويله لبعض الصفات على طريقة الأشاعرة في التأويل؛ فمثلاً في تأويله لغضب الله في سورة الفاتحة بقوله: "الغضب تغيُّر يحدث عند غليان دم القلب لإرادة الانتقام، وهو على الله تعالى مُحال، فيُحمل على إرادة الانتقام. والقانون في أمثاله أن جميع الأعراض النفسانية مثل الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والخداع والاستهزاء لها أوائل وغايات، فإذا وصف الله تعالى بشيء منها، يكون محمول على الغايات، لا على البدايات"(١)، والذي عليه السلف الصالح إثبات صفة الغضب لله على ما يليق له، ومنع التَّأويل الذي يصرفها عن حقيقتها، وما قال به الطِّيبيّ هو قول الأشاعرة، وازدهار الأشعرية في بيئته دليلٌ رابعٌ على تأثير هذا العامل.

المطلب السابع: المَذْهَب الفقْهِيّ المُنتَمِي إليه:

المذهب هو المُعتقد الذي يذهب إليه، وهو الطريقة المسْلُوكَة، والمذهب إذا نُسِبَ إلى الفقه فيعني الأحكام الاجتهادية لإمام من الأئمة الأربعة، أو اجتهادات من تلاميذهم، وما تعلّق بها من حُجج (٢)، وبعد عصر الاجتهاد انحصر عمل العلماء في تعليل الأحكام، والترجيح بين الآراء المختلفة في المذهب، والانتصار للمذهب، (٣) وقد كان للمذهب الفقهيّ تأثير على تفكير كثير من العلماء والمفسرين وكان الحِجاجُ لمذهبٍ معينٍ واضحًا في كتبهم وتفاسيرهم، وكان من أهم الاعتبارات المأخوذ بها عند فحص النصوص والنظر فيها.

ومن خلال قراءة الحاشية نُبصر المذهب الفقهيّ المنتمي إليه الطيبي بوضوح، وهو يُصرِّح بنصرته لمذهبه؛ حين يقول: " والحمد لله الذي هدانا لنصرة الحق، وترجيح مذهب الإمام المُطَّلِبي رضي الله عنه."(٤)، فهو على مذهب الإمام الشافعي، وإن كان يذكر آراء أئمة المذاهب الأخرى في بعض المسائل، لكنّه

(١) المرجع السابق، ١/ ٧٦٤.

(٢) ينظر: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد عرفة الدسوقي، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١/ ١٩.

(٣) ينظر: تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٣٠.

(٤) فتوح الغيب، ٣/ ٣٦.

يذهب مذهب الشّافعي في آرائه وطرق استدلاله، وقد ذهب الشافعي إلى منع نسخ القرآن بالخبر المتواتر(١)، وكان هذا الرأي حاضرًا في ذهن الطيبي وهو يُحشِّي على تفسير الزّمخشَريّ لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، و معنى نسخ الآية كما قال الزمخشري هو : إزالتها بإبدال أخرى مكانها، لكنَّ الطِّيبيّ لم يؤيِّد هذا المعنى على ظاهره؛ لأنَّ تأييده قد يترتب عليه فَهْم غير صحيح، فقدّر في كلام الزّمخشَريّ محذوف، ورأى أنَّ هذا التقدير واجب، والمعنى: إزالتها بإبدال آية أخرى مكانها، ثُمَّ علل وجوب تقدير هذه الكلمة بقوله: "لأن "خيراً منها" صفة موصوف محذوف، ولا بدّ من القرينة الدالة على خصوصيته، وهي قوله: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ كما قدّرها المصنف، ولو قدرت غيرها لركبتَ شططاً" (٢).

وكما أنَّ التَّصوف والمذهب الكلامِي الأشْعَريّ كان منتشرًا ومزدهرًا في بيئة الطِّيبيّ فكذلك المذهب الشّافعيّ(٣)، "ويتبع غالب الشافعية في الأصول مذهب أبي الحسن الأشعري"(٤)، كما يميل غالبية المعتزلة للمذهب الحنفي، وكان المذهب الشافعيّ يُدَرّس في المساجد والمدارس، وبهذا يكون المذهب الشّافعيّ من العوامل الفكرية المؤثّرة في الطِّيبيّ؛ لأنَّ المذهب الفقهي لا بُدَّ أن يكون له تأثيره الخاص عند وقوف العالِم أو المُفسِّر عند آيات الأحكام، فنجد ميله إلى قول معين منتمٍ إلى مذهب معين، ومن المعلوم أنَّ الزَّمخشَريّ حنفِيّ المذهب ظهر ذلك واضحًا في كشّافه، فكان الاختلاف المذهبي الفقهيّ ذا أثر في فتوح الغيب.

---

(١) قال الإمام الشافعيُّ:" وأبانَ الله لهم أنّه إنّمَا نسخَ ما نسخَ مِن الكتابِ بالكتابِ، وأنّ السُّنّةَ لا ناسخة للكتابِ وإنّمَا هي تَبَعٌ للكتابِ ". الرسالة، اعتنى به د. ناجي السويد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ، ص٥٤.

(٢) فتوح الغيب، ٣/ ٣١، ٣٢.

(٣) ينظر: عصر الدول والامارات، شوقي ضيف، ص٥٥١، وينظر: الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، محمد آل ياسين، ص٢٦.

(٤) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة الحنفي – المالكي– الشافعي– الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين، أحمد تيمور باشا، تقديم: محمد أبو زهرة، دار القادري، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ص٨٠.

على سبيل المثال في مذهب الشافعية العُمرة واجبةٌ كالحج، وفي مذهب الحنفية والمالكية العُمرة سُنة، وحاجج الطِّيبيّ؛ لإثبات صحة مذهب الشّافعيّ في هذه المسألة، وحاجج الزّمخشَريّ قبله لإثبات مذهب الحنفية؛ فقدّم الزَّمخشَريّ أدلة منها: ما روي أنّه قيل: يا رسول الله، العمرة واجبةٌ مثل الحج؟ قال: "لا، ولكن أن تعتمر خيرٌ لك"(١)، فعارضه الطِّيبيّ بالحديث المروي عن ابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ:"تابعوا بين الحج والعمرة، فإنَّهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد" رواه أحمد ابن حنبل وابن ماجه، عن عمر ﷺ.(٢)

وفي نهاية المبحث نُلخِّص أهم العوامل الفكريّة والثقافيّة والعلميّة المؤثِّرة في شرف الدِّين الطِّيبيّ الظاهرة في الحاشية:

- كان للاختلاف المذهبيّ العقديّ بين الطِّيبيّ والزَّمخشَريّ، وتعصُّب الزمخشري للاعتزال أثرٌ واضحٌ في الحاشية.
- اشتغال الطِّيبي بالتدريس حتّم عليه الولوج في الشروح؛ حتى يُسهِّل العِلم ويُقرِّبه إلى عقول طلابه.
- انتشار وازدهار التَّصوف والمذهب الكلامِي الأشعريّ والمذهب الفقهيّ الشَّافعيّ، فيما بين القرنين السَّادس والثَّامن الهجريين، في إيران والعراق بالتحديد، كان سببًا في حضور المصطلحات والتفاسير الصوفية، وورود الكلام النفسِي، والانتصار لمذهب الشَّافعيّ في الحاشية، فهي عوامل فكريَّة لها تأثيرها في عقول العلماء.
- ازدهار الشُّروح والتَّلخِيصَات في القرون المتأخِّرة دفع الطِّيبيّ إلى سلوك هذا المسلك في التأليف.
- إنّ لعقلية جار الله الزَّمخشَريّ ومؤلفاته تأثيرًا على الطِّيبي، فقد تتبع بلاغته واقتبس من أقواله ونقل من مؤلفاتهِ، وربط مؤلفاته بعضها ببعض، ونظر في طريقة تفكيره واستدلالاته، كما أنَّ انتشار تفسير الكشَّاف وانعقاد المجالس لتدريسه أحد العوامل التي ألزمته الشرح عليه.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، رقم الحديث (١٤٣٩٧)،٢٢ / ٢٩٠ ، وأخرجه الترمذي، أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في العمرة أواجبة هي أم لا ، رقم الحديث (٩٣١)، ٢/ ٢٥٨.

(٢) ينظر: فتوح الغيب، ٣/ ٢٧٢، ٢٧٣.

المبحث الثَّاني

دعائم ومصادِر التَّفكير البَلاغِيِّ في الحاشية

بعد أن حاولت الدِّراسة استقصاء العوامل الفكرية والعلمية المؤثِّرة في الطِّيبيّ والتي دعتهُ إلى عقد العزم على وضع حاشية على تفسير الكشَّاف، والعوامل التي ظهر أثرها واضحًا في تلك الحاشية، تحاول أن تتعرّف على دعائم وركائز تفكيره البلاغيّ، وما هي المصادر البلاغية التي استقى منها تفكيره.

الدَّعامة الأولى: النَّظم طريق التَّفسير والكشف

أول ركيزة استند عليها الطّيبي، في مؤلفاته البلاغيَّة عمومًا، وحاشيته على الكشَّاف على وجه الخصوص، مفهوم النَّظم، فكان الأساس العلميِّ الذي بنى عليه حاشيته، وكان حاضِرًا من بداية الحاشية إلى نهايتها.

ذهبَ الطِّيبيّ في حاشيته إلى أنَّ القرآن مختصٌّ من بين سائر الكُتُب السَماوية بصفة البلاغة مُقتبِسًا كلامه من كلام الزّمخشَريّ -كما ذُكِر-، وأنَّ معرفة إبراز النَّظم هي أعظم المطالب، فالنَّظم أداةُ فحصٍ واختبارٍ تُقاس بها براعة الكلام، واعتبار النَّظم مهمٌ في ترجيح تأويلٍ على تأويل، وبالنَّظم يُميَّز حسَن الكلام من قبيحه.

والنَّظم -كما هو معروف عند دارسي البلاغة- عرّفهُ عبد القاهر بقوله: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمت لك، فلا تُخِلُّ بشيء منها"(١)، وقال في مدخل كتابه الدلائل: "ومعلومٌ أن ليس النظم سوى تعليق الكِلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"(٢)، ونظم الكلام يقتفي آثار المعاني وترتيبها حسب ترتيب المعاني في

(١) دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ، ص ٨١.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

النفس[١]، فهي تأليفٌ ونسجٌ للألفاظ بحسب المعاني المُرادة، وربطٌ وتأليفٌ للكلام؛ ليتمَّ بها فَهْم المقصود، والنَّحو العربيُّ هو الأساس.

وفرّقَ الطِّيبيّ بين التَّأليف والتَّنظيم، وذهب إلى أنَّ التَّأليف يخصُّ اللَّفظ، والنَّظم يَعُمُّ اللَّفظ والمعنى، والتَّأليف يرتبط بالفصاحة، والنَّظم يرتبط بالبلاغة، والفصاحة تختصُّ بحسُن اللَّفظ مفردًا ومركبًا، والبلاغة تعمُّ حسن اللَّفظ والمعنى، فالبلاغة عنده أعمُّ من الفصاحة، بعكس ما عُرِفَ عند عبد القاهر الجرجاني الذي كانت الفصاحة عنده ترادف البلاغة، إذ "ينطلق الجرجاني من التسليم بتطابق المفهومين"[٢]،وممن فرّقَ بين الفصاحة والبلاغة ضياء الدين ابن الأثير[٣] في كتابه " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" وله كلامٌ يُشابه كلام الطِّيبي؛ ولهذا يُمكن عدّ ابن الأثير مصدراً من مصادر الطِّيبيّ، يقول ابن الأثير في الفصل الذي عنونه بـ "في الفصاحة والبلاغة": "البلاغة شاملةٌ للألفاظ والمعاني، وهي أخصُّ من الفصاحة، كالإنسان من الحيوان، فكلّ إنسان حيوان، وليس كلُّ حيوان إنسانًا. وكذلك يُقال كل كلامٍ بليغ فصيح. وليس كل كلام فصيحٍ بليغًا، ويُفرَق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام، وهو أنّها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى، بشرط التركيب، فإنّ اللفظة الواحدة لا يُطلَق عليها اسم البلاغة، ويُطلَق عليها اسم الفصاحة"[٤]، وقبل ابن الأثير نرى ابن سِنَان الخفاجي[٥] في "سِر

---

(١) ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني ، ص٤٩.

(٢) التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوُّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م، ص٤١٣.

(٣) هو نصر بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، مهر في النحو واللُّغة وعلم البيان، واستكثر من من حفظ الشِّعر، وله من المصنفات: كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، وكتاب الوشي المرقوم في حلّ المنظوم، وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، وكتاب ديوان رسائل، توفي سنة ٦٣٧ه. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، ٣١٥/٢.

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدّمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١/ ٩٤.

(٥) عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وأبي نصر المنازي، من مصنفاته: سر الفصاحة، الصرفة، الحكم بين النظم والنثر، عبارة المتكلمين في أصول الدين، في رؤية الهلال، حكم منثورة، العروض، توفي سنة ٤٦٦هـ. ينظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢/ ٢٢٠- ٢٢١.

الفصاحة" يقول: "والفرق بين الفصاحة والبلاغة، أنّ الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني"(١).

والأساس عند الطِّيبيِّ هو المعنى؛ إذ الاعتبار اللَّفظي الذي لا يساعده المعنى كشجرة خبيثة اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار، والذي شُدَّ عضده بالمعنى كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ومن المعلوم أنَّ القدماء اختلفوا في مسألة فصاحة الكلام وبلاغته هل هي راجعة إلى اللَّفظ أو إلى المعنى؟، حتى جاء عبد القاهر و قرر أنَّ الألفاظ خدمٌ للمعاني، وتابعة لها، و أنَّ العِلم بمواقع المعاني في النفس علمٌ بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النُّطق، وبلاغة الكلام ترجع إلى تأليف الكلام ونظمه، حيث يقول في دلائله: "ليس الغرض بنظم الكلِم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دِلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل"(٢). وذهب الطِّيبي وغيره من البلاغيين مذهب الجرجاني.

واستخدم الطِّيبيِّ مُصطَلح تأليف النَّظم، وتأليف القرآن بلغ في الفصاحة أقصى غاياته، ونظمه انتهى في البلاغة مدى نهاياته، (٣) ومراعاة النَّظم والسِّياق والمقام هو أساس التَّفسير والكشف عن المعاني، ومَكْمَن الإعجاز القرآني عند الطِّيبيّ في طريقة نظمه، ولا سبيل إلى إدراك ذلك إلا بالمهارة والحذق في لغة العرب التي نزل بها القرآن.

وكان أهم مصدرين عاد إليهما الطِّيبيّ في حاشيته هما عبد القاهر الجرجانيّ وسمّاه "صاحب النظم"، وأبو يعقوب السَّكَّاكيّ، وإن كان حضور السكاكيّ هو الغالب والظاهر؛ إذ نجد فِكر عبد القاهر وعباراته مغروسة في ذهن الطِّيبيّ، كما نجد علم السكاكيّ وأقواله حاضرةٌ في حاشيته، ومن هنا جمعَ الطِّيبيِّ بين طريقة الجرجاني في تذوق البيان وربط أجزائه، وبين طريقة السَّكَّاكِيّ في الضبط

(١) سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ، ص٥٩.
(٢) دلائل الإعجاز، ص٤٩- ٥٠.
(٣) ينظر: فتوح الغيب، ١/ ٦١٩.

والتقنين، بالإضافة إلى المصدر الأساس وهو الزَّمخشريِّ الذي استقى فِكر الجرجانيِّ في تفسيره.

وعند وقوفه وتحليله نراه يدعو القارئ إلى النظر والتذوق فيقول: "انظر إلى حسن هذا الترتيب السري، وهذا النظم الأنيق تدهش منه"(١)، و "إن شئتَ فجرّب ذوقك"(٢)، وإن شئت فاختبر نفسك بين ما إذا قلت:...وبين ما إذا قلت: ...، تجد الفرق(٣)، وهذا ما نجده في الأسرار والدلائل، والحاشية تحتوي على نصوص كثيرة مأخوذة من المفتاح، ذاهبًا إلى رأي السَّكَّاكِيّ في كثيرٍ من المواضع؛ منها قوله ناقلًا عن السكاكي: "ولله درُّ القائل: ومستودعات هذا الفنِّ لا تتَّضح إلا باستبراءِ خاطر وقاد، ولا تنكشف جواهِرها إلا لبصيرة ذي طبع نقّاد"(٤).

وعند تحشيته على تفسير سورة الفاتحة وضع نُصب عينيه مكان السورة من القرآن، واستحضر تسميتها بأمّ القرآن، واشتمالها على المعاني التي في القرآن، وأنَّها تُجمِل ما يحتويه القرآن مفصلًا، وبهذه الأسباب حمل الطِّيبي ألفاظ الفاتحة على الإطلاق، فلا يُقيَّد شيئاً من كلماتها ما أمكن الحملُ على الإطلاق، ووضع هذا الشرط أساسًا في تفسيره للفاتحة، فإذا وافقه الزَّمخشَريّ فهو يتبعهُ، وإن خالفه يقف عنده، ويجري الكلام على سننه، وبيان كيفية نظم السور والآيات، هي "مِحَكُّ البلاغة، ومنتقد البصيرة، ومِضمار النُّظّار ومتفاضل الأنظار"(٥).

وربط بين سورتي الفاتحة والبقرة ورأى أنَّ وزان قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ إلى قوله ﴿يُنفِقُونَ﴾ وزان قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، و وزان قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وزان قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ مستنبطًا سِرًا بلاغيًا وهو: أنَّه سبحانه

(١) فتوح الغيب، ، ١/ ٧٣٥.
(٢) المرجع السابق، ٣/ ٣٦.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ١/ ٧٣٦.
(٤) المرجع السابق، ٢/ ١٤٢.
(٥) المرجع السابق، ٢/ ١٥١- ١٥٢.

وتعالى لما حكى في مفتتح كتابه الكريم مدح العبد لبارئه بسبب إحسانه إليه، ترقّى فيه ثم مدح الباري هاهنا عبده بسبب هدايته له، وترقّى فيه على أسلوب واحد.

لم ينظر الطِّيبيّ إلى نظم الآيات فحسب، بل نظر إلى نظم السُّور؛ وذلك حين أخذ من سؤال ابن عباس الذي وجهه إلى عثمان رضي الله عنه: "ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما؟" دليلٌ ظاهر على بيان ترتيب الآي والسُّور [١].

كان النَّظم أساس النظر لديه، والتَّأويل الموافق لتأليف النَّظم هو المُعتمَد عليه، لذلك رأى أنَّ المراد بالمتقين هم المجتنبون للشّرك، فيدخل العاصي في هذا الحكم؛ لأنَّ هذا التَّأويل أوفق لتأليف النَّظم مما ذهب إليه الزَّمخشَريّ لدخول أكثر المسلمين في الحكم، ويُكرر في حاشيته على أنَّ الواجب رعاية حُسن النظم بين آي التنزيل، ويؤكِّد على أنَّ الواجب على مَن أراد الخوض في كتاب الله أن يستوعب معرفة جميع المقامات، وجميع خواصِّ التراكيب لينزّل كلّاً في مقامه.

وهو عندما ينظر في الآيات لا ينظر إليها نظرة جزئية أو منفصلة، بل هو ينظر إلى ترابط الآيات ويُؤول معناها ويفسِّرها قبل أن يُفصِّلها، أو يُفصِّلها ثم يربطها، في سورة البقرة مثلاً يقول: " افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم، ووطأت قلوبهم ألسنتهم، ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً، ثم ثلّث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم " [٢].

هذه طريقته في التفسير وفي تحليل كلام الزَّمخشَريّ وبلاغته؛ فكان يربط أول كلام الزَّمخشّريّ بآخره، ويَكشف لنا عن طريقته تلك من بداية تحليله لمقدمة الكشّاف؛ إذ كشف عن غرائب الخُطبة ونُكتِها إجمالًا وتفصيلًا؛ فيقول: " أمَّا الإجمال، فإنّه ضَمَّنها جميع ما هو مُفتقرٌ إليه من المباحث التي تتعلَّق بالقرآن المجيد براعةٌ للاستهلال... وأما على التفصيل فقوله: (الحمد لله) ..."[٣]إلخ.

(١) ينظر: فتوح الغيب، ٧/ ١٦٢.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ١١٦.
(٣) المرجع السابق، ١/ ٦١٣.

ونراه يُركِّز على أدوات الربط الدالة على تماسك الجُمل وتماسك النَّص ككل، فيؤوِّل الضمائر وهي الربط بالإحالة، إذ تربط المعنى بشيء سبق ذكره، و يقف عند المعطوفات، وعند الشرط والجواب، وعند القسم والجواب، وحروف الاستئناف، وغيرها من الروابط اللفظية، بالإضافة إلى تركيزه على الروابط المعنوية للألفاظ والجُمل، كلُّ ذلك ليكشف عن المعنى، كقوله: "عُلِمَ من تتبع كلامه -كلام الزمخشري- أنَّ كلَّ سؤال له بعد فإن قلتَ: إذا تصدَّرَ بالفاء يكون مسبباً عما قبله"(١)، "فإن قلت: ما معنى الفاءات في الأسئلة وهي: "فهلا عددت؟" و "فهلا جاءت؟" و "فما وجه اختصاص كل سورة؟""، و "(اختلافهم) عطفٌ على "افتراقهم" لا على "اجتماعهم"؛ ليكون في حكم "ثم" في التراخي. المعنى: أنَّهم اجتمعوا على الإقرار بإعادة الأرواح إلى الأجساد، ثم حصلت لهم الفرقة في كيفية الأحوال، والاختلاف في كمية الزمان"(٢).

وقدّرَ محذوفات ليستقيم النَّظم، فنجده يقول " لا بدّ في كلامه من تقدير محذوف وتعسُّف ليستقيم"(٣)، فيعمَد إلى التقدير في النَّظم القرآنيّ، وفي تفسير الزَّمخشَريّ؛ لاستنباط المعنى وإيضاحه، من خلال النَّظم، ويتتبع المبتدأ وخبره، والعامل ومعمولاته، منها قوله: " قوله (ومعنى ﴿هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾) مبتدأ، و(منحوه من عنده) خبره، فأقحم "أي التفسيرية، لمزيد البيان، أو معنى هدى من ربهم هذا القول، فحُذِف القول وجيء بتفسيره "(٤).

وكان منهاج نظر الطِّيبيّ قائمًا على تعيين المعنى العام للسورة بناءً على رعاية النَّظم في المبدأ والوسط والمنتهى، فيذكر المعنى العام بربطِهِ فاتحة السورة بوسطِها وخاتمتها، فيقول مثلًا في سورة الأنعام: إنَّ قُطب السورة يدور في إثبات الصانع، ودلائل التوحيد وما يتصل بها، وذلك بنظره في فاتحة السورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) فتوح الغيب، ١/ ٦٨٨.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ٩٩.
(٣) المرجع السابق، ٣/ ٣٧.
(٤) المرجع السابق، ٢/ ١١٠.

بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾، وربطها بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وبقوله بعد ذكر معظم الأنبياء: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ و ربطها بالخاتمة ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾.[١]

وعلى هذا كان النَّظم الوسيلة الأساسية التي قام عليها نظره في الكشّاف، فكما طبّق الزمخشري النَّظم في تفسيرهِ، كان اعتماد الطِّيبيّ عليها في فتوحِه، فالتّفسير الموافِق للنَّظم هو المعمول والمأخوذ به، والتّفسير المخالف للنّظم مطروحٌ غير معمولٍ به، بل هو تعسّفٌ وميلٌ في التأويل، وكان النَّظم أساس التَّأويل والتَّفسير والكشف، فيجب رعاية النَّظم في المبدأ والوسط والمنتهى [٢].

الدَّعامة الثانية: **الحدُّ والقاعدة وسيلة للوقوف على التَّشبيهات والاستعارات**:

احتذى الطِّيبي حذو السَّكَّاكِيّ والمتأخرين في الكشف عن التَّشبيهات، فهو عندما يقف على التَّشبيهات والاستعارات يُفصِّلها ويُبرز حدودها، ويُبيِّن جمالها، ويلجأ إلى القاعدة والتقسيم والتفريع؛ يذكر الحدود، يذكُر المُشبّه والمُشبّه به والأداة والوجه، ويذكُر المصطلحات ويُفرِّق بين الأنواع، وهو بذلكَ يُطبِّق ما جاء في كتابه "التبيان"، ويُمحِّص ويدقق النظر في التشبيهات والاستعارات؛ ليُوضِّح الفرق بينها، وليُقرِر آراء خاصة به في نظراته البيانية تختلف عن غيره من البيانيين.

وكان يستخدم هذه الطريقة؛ ليُدرِّب عقل القارئ والمتلقي على كيفية كشف التشبيهات و" ليُعلَم منه كيفية استخراج الاستعارة "[٣]، وتذوّق تأثيرها، ويستخدم الشواهد الشعرية الدائرة في كتب البلاغة؛ ليربطها بالتحليل الذي يقف عليه، منها

---

(١) ينظر: فتوح الغيب، ٦/ ١٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٧/ ١٥٩.

(٣) المرجع السابق، ٢/ ١٣٠.

الشاهد الشعري:

وَإذا المَنِيَّـــــةُ أَنشَـــــبَت أَظفارَهـــــا ألفَيـــــتَ كُـــــلَّ تَميمَـــــةٍ لا تَنفَـــــعُ

"جعلت المنية بسبب اغتيالها الأرواح كأنها سبع ذو أظفار وأنياب، ثم ذُكِرت المنية، و أُريدت المنيّة الـمُشكَّلةُ على صورة السبع للتخييل، وجُعِلت القرينة ما يلازم السَّبع المشبَّه به، و نُسِبت إليها على سبيل الاستعارة التخييلية، لأنّ المكنية لا تنفكُّ عن التخييلية"(١)، ربطها بتفسير الزَّمخشَريّ لقوله تعالى : ﴿خَـتَمَ اللَّـهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ والذي ذهب الزّمخشَريّ إلى أنّها من باب الاستعارة والتمثيل، وقرأ الطِّيبّي كلام الزَّمخشَريّ للاستعارة في الختم على القلوب، ليفصِّل فيها ولينسِبها لنوعها، وهي استعارة مكنية، كالاستعارة الموجودة في بيت الهُذليّ، فتكون القلوب استعارةً مكنية عن قلوبٍ مُتخيّلةٍ على صورة شيء مستوثق منه، ثم يُنسَب إليها لازمُ ذلك الشيء، وهو الختم بعد التخييل، مؤيّداً ذلك بتصريح التشبيه في القلوب بقوله: "كأنّها مستوثق منها"(٢)؛ لأنَّ الاستعارة بالكناية هي التي يُذكَر فيها المشبَّه، ويُراد به المشبَّه به.

وفي "واقتعد غارب الهوى" استعارة: إما تحقيقية أو تخييلية، و "اقتعد" ترشيحٌ لها نحو قوله: وعرِّي أفراس الصِّبا و رواحله

فهو يلجأ إلى التفريع والتمييز فيما يخص البيان يقول: " المجاز نوعان: مرسل، واستعارة. والاستعارة نوعان: تمثيلية، وغير تمثيلية، ككونها تخييلية، أو تحقيقية، أو مكنية"(٣)، فمنهج تفكيره قائم على إعطاء كل نوع ما يستحقه من المصطلح، دلالةً على استقرار المصطلحات في عصره، واتّخذَ من التَّحشية وسيلة لإثبات صحة آرائه في بعض ما يذهب إليه؛ يقول: " ويدلُّكَ على أنَّ الاستعارة التبعية تمثيلية الاستقراء"(٤)، و هذا التدليل يُشعِر بأنّ ثَمَّةَ خِلاف بين البلاغيين

(١) فتوح الغيب، ٢/ ١٣١.
(٢) ينظر: المرجع السابق، ٢/ ١٣١.
(٣) المرجع السابق، ٢/ ١٣٠.
(٤) المرجع السابق، ١٠٩/٢.

في مسألة اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية؛ حيث ذهب إلى أنَّ الاستقراء دليل على اجتماعهما، كما استدلَّ بقول السَّكَّاكِيّ، ويقرر أنَّ الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ هو استعارة تمثيلية واقعةٌ على سبيل التبعية، يدلُّ عليه قول الزّمخشَريّ: "شُبِّهت حالهم": وطريقة إجرائها أن يُقال: شُبِّهت حالُهم وهي تمكّنُهم من الهدى واستقرارهم عليه، وتمسُّكُهم به، بحال من اعتلى الشيء و ركِبه، ثم استعير للحالة التي هي المُشبَّه المتروك كلمة الاستعلاء المستعملة في المشبَّه به[1]، وقد بحث الباحث عمر الزعبي في الاستعارة التمثيلية عند الطِّيبيّ، وذهب إلى أنَّ مسألة اجتماع الاستعارة التمثيلية والتبعية والتي شغلت بال البلاغيين، واشتهر فيها الخلاف بين السَّعد التَّفتَازانِيَ والسَّيّد الشَّريف، الأول يجيز اجتماعهما والثاني يمنع، فالمشهور أنَّ السَّعد هو أول من جوّز هذا الاجتماع، لكنَّ الواقع يقول إنَّ الطِّيبيّ أسبق من السَّعد في ذلك التجويز، ونقل تصريح الشهاب الخفاجي في ذلك، وهو كون الطِّيبيّ أسبق من السَّعد في تجويز اجتماع الاستعارة التمثيلية والتبيعة[2].

وهو يُفرِّق بين الاستعارة في الموضوع اللُّغوي وبين الاستعارة في النّسبة؛ الاستعارة في الموضوع اللُّغوي واللَّفظ المفرد يكون بسبب علاقة التّشبيه، كما بين الأسد والإنسان بسبب علاقة الجُرأة الموجودة فيهما، والاستعارة الواقعة في النسبة تكون بسبب دليل عقليّ، وهو التشبيه بين الفاعل الحقيقي والفاعل المجازي، فكما أنَّ المستعار هناك لفظ الأسد للشجاع، كذلك في قولنا: أنبت الربيع البقل، المستعار إسناد الإنبات من الفاعل الحقيقي وهو الله عز وجل للفاعل المجازي وهو الربيع بسبب دوران الإنبات معه، ونقل كلام السَّكَّاكِيّ[3]، و" نسبة الإنبات إلى الله على الحقيقة لما يتبادر إلى فهم المُوحِّد من ذلك كما يتبادر إلى

(١) ينظر: فتوح الغيب، ٢/ ١٠٩.

(٢) ينظر: الاستعارة التمثيلية عند الطِّيبي، دراسة نظرية تطبيقية، عمر عبد الكريم الزعبي، إشراف سليمان الدقور، بحث مُحكّم، الناشر: الجامعة الأردنية عمادة البحث العلمي، مج٤٥، ع١، ٢٠١٨م، ص٣٢٦ من المجلة.

(٣) ينظر: فتوح الغيب، ٢/ ١٣٨.

الفهم من لفظ الأسد الحيوان المفترس، فالطرف المتروك هنا إسناد الإنبات إلى الله والمذكور تعلُّق الربيع به، وهو حصوله في أوانه، ولذلك كان المُقدَّر: أنبتَ الله البقلَ وقت الربيع"(١).

ووقف عند قول الزَّمخشَريّ بالتَّمثيل والتَّشبيه والاستعارة وأَسمَاها بمصطلحاتها المعروفة عند السَّكَّاكِيّ والمتأخرين، فقال مثلًا بأنَّ المُراد بالتمثيل في الكشَّاف هو الاستعارة التمثيلية، وأعاد وكرر ما هو مُقررٌ في كتب البلاغة والبيان من نظرات بيانية تكشف عن بلاغة العربية، فجواز الاستعارة يتوقف على المعنى الجامع بين المُستَعَار والمُستعَار له، و "إنما جاز استعارة الاشتراء للاستبدال لما يجمعهما معنى الإعطاء والأخذ. وأصل المبايعة بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الأعيان أو المنافع، وهي تنقسم إلى: مبايعة بناضٍّ، وإلى مبايعة سلعة بسلعة، ويقال في الأول لآخذ السلعة: المشتري، ولآخذ الناضِّ: بائع. وفي الثاني يطلق على كلِّ واحدٍ منهما اسم البائع والمشتري، ولهذا عُدَّ البيع والشراء من الأضداد، وما تدخله الباء الثمن، والآخر المثمَّن، ثم استعير للإعراض عما في يده مُحصلا به غيره، سواء كان من المعاني أو الأعيان"(٢).

والعرب إذا أرادوا المبالغة في الاستعارة بنوا كلامهم على المستعار منه كأنَّهم نسوا حديث التَّشبيه والاستعارة ولم يخطر منهم على بال،(٣) والادِعاء هو أصل الاستعارة، ومعنى الحقيقة هو المبادِر إلى الفهم عند خلو الكلام عن القرينة، ومعنى الاستعارة والمجاز هو المبادِر إلى الفهم عند وجودها، (٤) وأبان عن قيمة الصُّور البلاغية فـ "التمثيل إنَّما يصار إليه لرفع الحِجاب عن المعنى المُمثَّل له، ليبرزه في صورة المشاهد ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه، فإن المعنى الصِّرف إنما يُدركه العقل مع منازعة من الوهم؛ لأنّ من طبعه ميل الحس

(١) فتوح الغيب، ٢/ ١٣٨.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ٢١٣.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ٢/ ٢١٦.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ٢/ ٢٣٩.

وحب المحاكاة، ولذلك شاعت الأمثال"[1]، والتّشبيه الذي هو أصل الاستعارة من حقِّه أن يُذكَر أركانه الأربعة: المشبه والمشبه به، وأداته ووجهه، وحين لم يذكر ها هنا الأداة دلّ على الحمل، ولما لم يذكر الوجه دلّ على العموم، ويُسمى "التّشبيه بليغاً" عند حذف الأداة والوجه[2]، والفرق بين التَّشبيه المحذوف والاستعارة المصرّحة، أنَّ المشبه فيها مطويٌّ أبداً، و المتروك في التشبيه منويٌّ مرادٌ، وفي الاستعارة منسيٌّ غير مراد[3].

فنجد نضوج بحث البيان عند الطِّيبيّ و عِماده في ذلك مفتاح السَّكَّاكِيّ، وما وصل إليه مبحث البيان في عصره، حيث حرِصَ على تقييد المصطلحات وتعريفها، وإضافة الآراء الخاصة به، والاستدراكات التي يراها، وإطلاق المصطلحات، ووضع التّعريفات، وإنْ لم يكن ذلك الضبط والتقييد خاصًا بمباحث البيان فقط، بل كان يُعطي- أيضاً -مباحث علم المعاني مصطلحاتها ويُحِددَ حدودها، لكن نرى أنّ وقوف الطِّيبيّ على التشبيهات والاستعارات كان وقوفًا خاصًا، وكأنَّ عنايته بالبيان كانت دعامة أساسية قام عليها فُتُوحه، فأراد أن يكشِف عن قدرة العربية في التعبير عن المعنى الواحد، وإعجاز القرآن في تشبيهاته، وبيان الزّمخشَريّ في الكشف عن الاستعارات، وفي استخدامها، وليُعلِّم كيفية استنباط تلك الفنون البيانية البديعية.

الدَّعامة الثالثة: النّقل عن كتب اللُّغة والنَّحو والتَّفسير والأصول:

أدرك الطِّيبيّ – كما أدرك غيره من البلاغيين- أنَّ النقل عن كتب اللُّغة والنحو والتفسير والأصول يُعضِّد التأويل، ويساعد على التحليل، فكان ذلك النقل دعامة قام عليها تفكيره البلاغيّ؛ إذ تحوي تلك الكُتُب على لفتات بلاغيّة وإشارات بيانيّة دقيقة، بالإضافة إلى أهمية المعاجم في استخراج المعاني الحقيقة للألفاظ والمجازية، فتنوُّع الكتب المنقول عنها يدلُّ على عقلٍ تبحّر في العِلم، وتشرّب

(١) فتوح الغيب ، ٢/ ٢٢٢ نقل الطِّيبي هنا كلام البيضاوي من أنوار التنزيل.
(٢) المرجع السابق، ٢/ ٢٤٨.
(٣) المرجع السابق، ٢/ ٢٥٧.

جميع العلوم، ويدلُّ على أنَّ العقل البلاغيّ عقلٌ حوى جميع العلوم؛ إذ إنَّ البلاغيّ لا يكونُ بلاغيًا حتى يتسلّح بتلك العلوم، فهو لديه رسالة يُريد إيصالها إلى الغير، ولديه علمٌ يبتغي به الإفادة والتَّأثير في غيره، ومن المعلوم أنَّ البلاغة ليست بمعزلٍ عن العلوم، بل هي تضمُّ جميع علوم اللِّسان العربيِّ، وعلوم القرآن والتَّفسير، و منها ظهرت، وإليها تعود.

عمِدَ إلى معاجم اللُّغة ليستخرج معاني الألفاظ، ومعنى اللَّفظة هو الأساس الذي يقوم عليه التَّفسير والتَّأويل، وكان من أهم المعاجم التي أكثر النقل عنها هو معجم "تاج اللُّغة وصحاح العربية" لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، ويُطلِق عليه اختصارًا "الصحاح"، ونقل عن المُطرزي في كتابه "المغرب في ترتيب المعرب" وهو معجم فقهي، ونقل الأقوال والآراء والتوضيحات من "تفسير الواحديّ"، ومن "أنوار التنزيل" للبيضاويّ، ومن "مجاز القرآن" لأبي عبيدة، و من "معالم السنن" للخطابيّ، ومن مؤلفات الراغب الأصفهانيّ، ومن "معاني القرآن" للفرَّاء، ومن الكوشيّ صاحب "التفسير الكبير"، و نقل عن العمانيّ صاحب "المرشد في الوقف والابتداء"، و الزجاج في كتابه "معاني القرآن وإعرابه"، وعن الخوارزميّ في "المطلع على غوامض كلام العرب"، و الأزهريّ في "تهذيب اللُّغة"، و أبي حفص السهروورديّ في "عوارف المعارف"، و أخذ من "شرح السنة" للبغويّ، و شرح "الشعلة على الشاطبية"، ومن "تقريب التفسير" للعلامة الفالي قطب الدين، و"الإغفال" لأبي علي الفارسيّ، و "ألفية ابن مالك"، و"الضوء" و "شرح المصباح" للإسفراييني، و "التَّخمير" شرح المفصل في صنعة الإعراب للخوارزمي، و "حقائق التفسير" لأبي عبدالرحمن السّلمي، و "نزهة الألباء في طبقات الأدباء" لابن الأنباري، و "فرائد التفسير" للمابرنابازي، و"إيجاز البيان عن معاني القرآن" للنيسابوري الغزنوي، و"النهاية" لابن الأثير، وكتابي "المحتسب" و "سر صناعة الإعراب" لابن جني، و"لطائف الإشارات" للقشيريِّ، و "التِّبيان في إعراب القرآن" للعُكبريّ، و" التيسير في القراءات السبع" للداني، و"الكافية" لابن الحاجب، و"الاستيعاب" لابن عبد البر، و"مجمع الأمثال" للميدانيّ، و "أصول

البزدويّ"، و "الهادي" لأبي المعالي النيسابوري، و "إصلاح المنطق" لابن السِّكيت، و "الفلك الدائر" لأبي حديدة، و "أمالي ابن الحاجب" وغيرها من الكتب.

وكان يأخذُ من تلك الكتب ما يكشف عن المعنى، أو يُدلِلَ عليه، أو ينقض معنى أو رأي، و لكي ينقل الآراء والآراء المخالفة، وهو في ذلك يثبت الأقوال لقائلها، وهذا يدلُّ على الأمانة العلمية عنده وعند غيره من علمائنا، و قد ينقل الرأي ثم ينقضه ويذكر رأيه، ومن تلك الكُتُب ما هي حُجج في بابها بالنسبة له ولغيره من العلماء، يقول مثلًا عن ابن السكيت: " وقال ابن السكيت – وإنه ثقة بالإجماع – في كتاب "إصلاح المنطق"، في باب فِعْلٍ و فُعْلٍ بكسر الفاء وضمها مع سكون العين باختلاف المعنى..."، ومن تلك الكتب ما كانت مُؤسَسة على فكرة الرد ككتاب " الفلك الدائر على المثل السائر"، ومنها ماهي تلخيصٌ للكشّاف ونقل عنه وردٌ عليه، ومنها ماهي تفاسيرٌ بلاغية، ومنها ماهي تفاسير عامة.

الدَّعامة الرابعة: تنقيح الكشَّاف من المُخالَفَات العقدية:

البلاغة قائمة على إبلاغ المعنى، أو إنهاء المعنى إلى ذهن المتلقي، وحتى يكون المعنى صحيحًا لا بدّ له من التهذيب والإصلاح، فكانت أهم دعائم التَّفكير البلاغيّ عند الطِّيبي تتمثل في التنقيح والتهذيب، فقامة بلاغية كالزّمخشَريّ، وعمل له صداه كالكشّاف مصدرًا مهمًا من مصادر البلاغة العربيَّة، وحتى يَغترِف المتلقي من بلاغة الزَّمخشَريّ، ومن البلاغة القرآنية في تفسير الكشّاف يحتاج الطِّيبيّ إلى تخليص الكشَّاف مما يشوب العقيدة، فكما قلنا تعصُّب الزَّمخشَريّ للاعتزال من العوامل التي أثَّرت في شرف الدِّين، ومن هنا كانت مهمة إصلاح الكشَّاف وإزالة ما يشوبه من المهام التي أخذها الطِّيبيّ على عاتقه.

يقول ابن خلدون عن التَّفسير الراجع إلى معرفة اللُّغة والإعراب والبلاغة: "من أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التَّفاسير كتاب الكشّاف للزّمخشريّ من أهل خوارزم العراق إلّا أنّ مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة ... وإذا كان الناظر فيه واقفًا مع ذلك على المذاهب السّنيّة مُحسِنًا للحجاج عنها فلا جرم إنّه مأمون من غوائله فلتغتن مطالعته لغرابة فنونه

في اللّسان"[١].

بدأ الطِّيبيّ مقدمته بأول آية من سورة الكهف، التي تدحض أصلًا من أصول الاعتقاد عند المعتزلة، وتُبيّن أهم مُنطلَق للتأويل؛ فهي تدحض القول بخلق القرآن، والقول بأنَّ القرآن حادث، والتي نادى بها المعتزلة، وحاول الزَّمخشَريّ نصرتها في كشّافه إلا أنَّ الطِّيبيّ كشف عنها من خلال تحليله لمقدمة الكشاف، فكما قال الزَّمخشَريّ عن القرآن الكريم: " وما هي إلا صفات مبتدأ مبتدع، ... أنشأه كتابا ساطعاً تبيانه..."[٢]، قال الطِّيبيّ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [٣]، فإن كان الأول قول بشر فإنَّ الثاني قول رب البشر، فالقرآن مُنزَل بواسطة جبريل عليه السلام على محمد ﷺ، أنزله تعالى كتابًا قيّمًا مستقيمًا، لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يُصدِّق بعض، ولا عوج فيه، ولا ميلَ عن الحق، وهو من الكلمات التامات السالمة من العيوب والنقائص التي تعتري كلام البشر، "فما هو إلا من صفات مخترع الكائنات، ونعوت مُبدِع الأرض والسماوات، مُنشئ الأحياء ومُنشر الأموات"[٤].

و أهم القضايا التي أثارت اهتمام الطِّيبيّ وسخّرَ نفسه للدفاع عنها في حاشيته هي قضية خلق القرآن؛ بدليل أنّهُ قدّم بها في كتابه، فيستحضر القارئ هذه الآية عند قراءته لمتن الكتاب ومحتواه، إذ إنَّ أول ما يُقرأ يكون له حضور ورسوخ في الذِهن أقوى؛ فالزَّمخشَريّ حين بدأ خطاب مقدمته بالحمد والثناء على الله الذي أنزل القرآن، لم يمر الطِّيبيّ على كلمة "أنزلَ" على الطيبي؛ بل وقف عندها طويلًا، مُبينًا معناها اللُّغوي حقيقةً ومجازًا من خلال أساس البلاغة؛ فالنزول على الحقيقة هو: الانتقال من علوٍ إلى سُفل، ولا يُصار إلى المجاز إلا بقرينة كما هو مقرر في البيان العربي، منتقلًا في بحثه عن هذه اللفظة من أساس البلاغة إلى كلام الإمام أبو بكر الرازي والقاضي البيضاوي في معنى "الإنزال"،

(١) مقدمة ابن خلدون، ٥٠٩.
(٢) فتوح الغيب، ١/ ٦٢٦.
(٣) ينظر: المرجع السابق، ١/ ٦٠٩.
(٤) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

واللذين اتفقا على أنّ المراد بالإنزال هو "تحريك الشيء من الأعلى إلى الأسفل، وذلك لا يتحقق في الكلام؛ وإنّما لحِقه بتوسُّط لحوقه الذات الحاملة له، فوصِف بصفة حامله لالتباسه به"(١)، ثم انتقل إلى حُجَّة أقوى تدعَم القول السابق، وهي ما رُوي عن عائشة رضي الله عنها في بيان كيفية تلقي الرسول الوحي من المَلَك (٢)، ثم كشف عن ذلك الفكر الاعتزالي القائل بخلق القرآن؛ لأنّ الزَّمخشَريّ وإنْ قال : "الحمد لله الذي أنزل القرآن" إلّا أنه صرّحَ بفكره عندما قصر الصفة على الموصوف -كما كشف عنه الطِّيبيّ- في قوله: " وما هي إلا صفاتُ مُبتدأ": "أي ليس التأليف والتنظيم، والافتتاح والاختتام، والتفصيلُ والتمييز إلّا صفات شيءٍ حادث؛ لأنَّ حدوث الصفات يوجب حدوث الموصوف"(٣)، ونسبَ إليه صفة الإنشاء ومعناها الخلقُ، يقول الطيبي في قول الزمخشري: "أنشأهُ كتابًا": "قطع الجملة لتكونَ بدلاً من جملة "أنزلَ" لكونها أوفى بتأدية المقصود منها، فإنّه أجرى على القرآن أوصافًا تدلُّ على حدوثه ككونه مؤلّفًا منظمًا، وغير ذلك، لكنَّ دلالتها على المقصود غير صريحة، فصرّحَ بقوله: "أنشأه" ، وأدخلَ بين البدل والمُبدل قوله: (وما هي إلا صفاتُ مُبتدأ) إلى آخره، مُعترضًا مؤكِّدًا لما انتصب له من بيان مذهبه. واعلم أنَّ في أمثال هذا التبجُّح على نُصرة مذهبِهِ جسارةً عظيمةً على الكلام، ثم على المتكلم؛ إذ عظمةُ الكلام على قدر عظمة المُتكلِّم، فكلام الله عظيمٌ بعظمته، جليل بجلالته وكبريائه"(٤)، مُقرِّعًا مُجهّلًا الزمخشري في قوله، مُحذِرًا من هذا الاتجاه.

وذكر الطِّيبيّ في مقدمته مكانة وأهمية "تفسير الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، والزَّمخشَريّ بعلمِه بالعربية وبالبيان

---

(١) فتوح الغيب ، ١/ ٦١٥.

(٢) أنَّ الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: "أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشدهُ علي، فيفصِمُ عني وقد وعيت ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَك رجُلاً فيُكلِّمني، فأعي ما يقول". ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، ١/ ٦٢٦.

(٤) المرجع السابق، ١/ ٦٢٩.

العربي يُعدُّ خصمًا يحتاج منه أن يكون على قدر من الاستعداد لمواجهته، وحتى يقتنع القارئ أوضح له عُدَتهُ في هذا الحجاج، وهي آلياته الحجاجية، وأول سلاح تسلَحَ به مُدارسة العِلمين المختصين بالقرآن، وإتقان الأساليب البديعية، والأفانين البيانية، ثم تحصيل غرائب اللغة، ولطائف الإعراب، ومعرفة علم أصول الدين، وهي التي تؤهِّل المُفسِّر والمؤول للولوج إلى المعاني، إذ إنَّ "المؤول لا يكون بليغًا إلا إذا توفرت فيه كفاءات أهمها الفهم بالآلة المناسبة والإفهام بتنسيق خطابه على الوجه الذي يجعله وسيطًا بليغًا بين النص والقارئ"(١)، فلديه الكفاءة اللسانية والعدّة المعرفية التي تُمكنَهُ من تحليل الخطاب و فك رموزه، والكفاءة اللسانية هي المعرفة بقواعد اللغة وعلومها، و العدّة المعرفية هي التجارب والقراءات السابقة والمعارف المدروسة التي يستعين بها في تحليل الخطاب.

إنَّ إدراك الشخص لقوة الخصم المعرفية، وقدرته العلمية، من أهم الأمور التي لها دور في نجاح الخطاب الحجاجي، حيث يجعله قادراً على خوض غمار ذلك الحجاج، وهذا يشير إلى أنَّ البليغ يحتاج إلى عدة أو أدوات تُمكِّنه من إيصال ما يريده إلى السامع وإقناعه، وستتوسع الدِّراسة، في المبحث الأول من الفصل الثالث، في التفكير الحِجاجي عند الطِّيبي.

وكشف الطِّيبيّ عن عملهِ في الحاشية والذي هو شرحٌ للمجمل، وحلٌّ للمُعضِلِ، وتلخيصُ للمُشكِلِ، وتخليص للمبهم، وتفَسيرٌ للعويص، وكل هذا للكشفِ عن الخبايا التي تختبئ خلف النص، وعن البلاغة التي تؤثِّر في المتلقي، وفي اعتقاده، وفي المقابل هو في الحاشية يسهِّل الوعر، ويُيسِّر الصعب.

والتَّأويل من أهم المرتكزات التي اعتمدَ عليها المعتزلة عامةً، والزَّمخشَريّ على وجه الخصوص، وهي النقطة والأساس التي كان فيها الخلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة؛ فالمعتزلة تعتمد على التأويل لإثبات أصولُهم ومعتقداتهم، ولهذا كشف الطِّيبيّ عن الفرق الشاسع بين التأويل الذي يريده ويدعو إليه

(١) من بلاغة الإنتاج إلى بلاغة التأويل دراسة في بلاغة الإقناع، البشير عزوزي، مجلة المقري، العدد الأول، ص٢٤.

الزَّمخشَريّ، وبين التأويل المعتدل الذي عليه السلف الصالح.

انطلق الطِّيبي لطرح هذه القضية من مثلٍ ضربه محمود الزمخشري للعالم المقلِّد الذي لا خلاص له من يد التقليد، ورأى أنه بالغ فيه وأفرط، واستخدم الزمخشري في جعله مثالاً لمن أفرط في التأويل وخرج به عن الحدود، واستخدم المثال المضاد وهو الواحدي الذي بالغ في التفريط؛ الذي رفض القول بالعقل والتدبر والرأي[1] في تفسير القرآن، أو شخصين متناقضين، وكلا الشخصين مخطئٌ في رأيه، فنحن أمام قضيتين أو مشكلتين متناقضتين؛ مشكلة التعويل على التَّأويل والعقل وتقديمهما على النقل، والأخرى مشكلة إقصاء التَّدبر والتَّفكُّر الذي يلزم المؤوِّل، والاعتماد على النَّقل فقط في التَّفسير.

وكانت أهم المصادر التي اعتمد عليها في تنقيحه كتاب "الانتصاف من الكشاف" لابن المُنيِّر الاسكندريّ، و كتاب "الانصاف مختصر الانتصاف" لعلم الدين العراقي[2]وهما يُمثلان خطابين متعارضين، أو بعبارة أخرى جاء خطاب ابن المُنيِّر على خطاب الزَّمخشَريّ، وجاء خطاب العراقي على خطاب ابن المُنيّر، فكل خطاب جاء لِمقصِدِ نقض خطاب سابق عليه، ومن هنا نلمس العقل الإسلامي المُدقِق الناظر في الخطابات الباحث عن المعرفة، صاحب الرأي والمُدافع عنه، وعلى المتلقي النظر في الخطابات المتعددة، وفحص الحجج المُقدّمة في تلك الخطابات للبحث عن الحقيقة، والرأي الصواب.

يقول د. محمد البازي: " أبرز تجلٍ للتلقي ما قام به ابن المُنيِّر المالكي في حاشية وضعها للكشاف سماها الانتصاف، وهي واضحة في استراتيجيتها

---

(١) يطلق التفسير بالرأي "على الاعتقاد وعلى الاجتهاد وعلى القياس ومنه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس". ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١/١٨٣.

(٢) علم الدين ابن بنت العراقي، عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، كان من المعدودين في علماء مصر، وكانت له مشاركة في الفقه والأصول، والأدب والتفسير، وله اخصاص بتفسير الكشَّاف، وصنَّف مختصراً في أصول الفقه، توفي سنة ٧٠٤هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدِّين الصَّفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩/ ٦٥.

وأهدافها، إنها خطاب على خطاب تفسيري، يسعى إلى كشف مناحي الاعتزال فيما كتبه الزمخشري مُوجِّهًا في ذلك بالمذهب السني وأدواته في بناء المعنى. إن قارئ متن الخطاب التأويلي في الكشاف مع ما يتضمنه من ملامح الاعتزال، ثم يتتبع بشكل موازٍ له خطاب الهامش المعنون بـ "الانتصاف" يجد نفسه بصدد خطاب على خطاب، أو اتجاهين تأويليين، يعكسان خطتين في العمل ومنظورين مختلفين يتوجهان معاً إلى القارئ الباحث عن معاني النص القرآني"(١).

ثم جاء علم الدين العراقي ورأى ما كتبه الزَّمخشَريّ وما كتبه ابن المُنيِّر، ورأى أنّ الزَّمخشريّ في مواضع كان أقرب إلى الصواب من ابن المُنيّر، فأراد أن يكون حكمًا بينهما، فألّف كتابه بناءً على كتاب الانتصاف، وسماه " الانصاف مختصر الانتصاف من الكشّاف".

وجاء الطيبي وتلقّى الخطابين السابقين، وفكّر فيهما، ثم نقل في حاشيته أقوالًا من هذين الخطابين، وناقش ورد ودعّم، لينتقل من موقع المتلقي إلى موقع المرسل، ويُصبِح مرسلًا لخطابٍ جديد، بالإضافة إلى كتب التَّفسير واللُّغة السابقة ذكرها.

ولم يكتفِ الطِّيبيِّ بما استخرجهُ ابن المُنيِّر؛ بل كان دقيقًا في وقوفه على المُخالَفات التي تمُس العقيدة والتي حاول الزمخشريِّ غرسها في كشافه، من تلك المواضع تعرُّض الزمخشريِّ لمقام النبي ﷺ بالسوء عند قوله تعالى ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة ٤٣] : قال الزمخشري : ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ كناية عن الجناية ؛ لأن العفو رادف لها ، ومعناه : أخطأت وبئس ما فعلت، هذا التفسير الذي ذهب إليه شنّع عليه الطِّيبيِّ؛ إذ فيه إساءة لنبي الأمة فقال: هذا خطأٌ فاحِش وبئس ما فعل، " و لا أعلم كيف ذهب إلى هذا القول الشنيع"(٢) ، و ردَّ التفسير السابِق باعتماده على حُجج وأدلة. (٣)

(١) صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، محمد البازي، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٣٦هـ، ص١٦٤.

(٢) فتوح الغيب، ٧/ ٢٥٥.

(٣) المرجع السابق، ٧/ ٢٥٥- ٢٥٦.

ومن عنوان الكتاب نلحظ هذه الركيزة ظاهرة في تفكيره البلاغي، ويكشف الطِّيبيّ عن معنى لفظة "الرَّيب" الموجودة في العنوان من خلال شرحه لحديث: " دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الشَكَ رِيبَةٌ، وَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ "[1]، يقول في ذلك: "المعنى: دع ما اعترض لك الشك فيه منقلبًا إلى ما لا شك فيه، يقال دع ذلك إلى ذلك، أي: استبدله به، أو دع ذلك ذاهبا إلى غيره... إذا وجدت نفسك ترتاب في الشيء فاتركه؛ فإنَّ نفس المؤمن تطمئن إلى الصدق وترتاب من الكذب. فارتيابك في الشيء مبني على كونه باطلاً؛ فاحذره، واطمئنانك إلى الشيء مشعرٌ بكونه حقاً، فاستمسك به ". وهو يقف عند بعض الأقوال للزَّمخشريّ ويعبِّر عما فيها من الرَّيب، وفُتُوح الغيب تكشف عن مواضع الريبة والكذب، ويقول: "فيه اعتزالٌ خفي"، " وهو الأوجه لمذهبه"، ويذهب إلى هذا التَّفسير "بناءً على مذهبه"، وهذا الكلام فيه "إشارةٌ إلى مذهبه"، و "هذا تعصُّبٌ قوي ولفظ فاحش"، وهو يقف عند الأدوات البيانية التي استخدمها الزمخشري في تأويلاته الخادمة لأصول الاعتزال؛ ليكشفَ عن التعسُّف والانحراف الذي يرتكبه.

وفي نهاية المبحث يُمكن أن يُقال: إنَّ النَّظم أهم ركيزة قام عليها تفكير الطِّيبيّ البلاغيّ، جامعًا بين الذوق والقاعدة، قاصدًا تنقيح الكشَّاف والاستفادة منه، فكان النَّظم القرآنيّ، والقاعدة والذوق، والنَّقل من الكتب، والتنقيح والتخليص، دعائم قام عليها تفكيره البلاغيّ، مستعينًا بمصادره في ذلك [2]؛ والتي منها:

- ♦ دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لأبي عبد القاهر الجرجاني.
- ♦ تفسير الكشَّاف للزمخشري.
- ♦ مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكيّ.
- ♦ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير.
- ♦ الفلك الدائر لابن الحديد.

---

(١) الترمذي، أبواب صفة يوم القيامة والرقائق والورع، ٤/ ٦٦٨.

(٢) ينظر في بقية المصادر: فتوح الغيب، ١/ ٢٤٨ – ٢٥٤ قسم الدراسة: جميل بني عطا.

- تفسير أنوار التنزيل للبيضاويّ.
- تفسير مفاتيح الغيب لأبي بكر الرازيّ.
- كتابي الانتصاف لابن الـمُنيِّر، والانصاف للعراقيّ.
- مجمع الأمثال للميدانيّ.
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبريّ.
- معاجم اللُّغة وكتب النحو والأدب.
- حواشي الكشَّاف وتلخيصاته.
- كتب شروح السنة.
- كتب أصول الفقه.
- كتب التراجم والتاريخ.

ونذهب إلى أنَّ عقلية الطِّيبيِّ البلاغية تشكَّلت من ثلاثة كُتُب؛ هي: "الكشَّاف، والمفتاح، والمثل السائر" إذ كان الزَّمخشريِّ والسكّاكيِّ وابن الأثير هم مِداد الطِّيبيِّ، وهم الينابيع التي اغترف منها، فجمع بين تلك العقليات؛ ليَخرُج لنا بعقلية وازنت بين طريقة كل واحدٍ منهم؛ فكانت طريقة تفسير الكشّاف، وقواعد المفتاح، وذوق المثل السائر هي مُنطَلَق الحاشية وأساسها، وهي مصادر كُتُبه البلاغيَّة؛ حيث أبانَ في كتابه "التبيان" عن مصادرِه وهي: الكشَّاف، المفتاح، والنهاية والمثل السائر، بالإضافة إلى الإيضاح والمصباح[١].

وفي شرح "الكشَّاف"، وشرحِ "المشكاة" ركَّزَ على الـمُعضِل، والـمُشكِل، والعويص، وإبراز النُّكات واللَّطائف، على ما يستدعيه غرائب اللُّغة والنَّحو، ويقتضيه علمي المعاني والبيان، فكان الطِّيبيِّ الشَّارح القارئ يحُلُّ ويُلَخِّص ويُخلِّص، ويُبيِّن،[٢] وعلى التَّرصيفِ والتَّنقيح والتَّوضيح عمِلَ عقلُهُ البلاغيِّ، ومن عيون فرائد النثر ودُرره ومختار قلائد الشِّعر تزيَّنت مؤلفاته البلاغيَّة.

(١) ينظر: التبيان في البيان، الطّيبي، ص٢ قسم "التحقيق".

(٢) ينظر: فتوح الغيب، ١/ ٦١١، ينظر: الكاشف عن حقائق السنن، ص٣٦٨.

وتأثَّر في الحاشيَّة بـــــــــ"مفاتيح الغيــب للــرازيِّ"، و "أنــوار التنزيــل للبيضاويِّ"، و "الانتصاف لابن الــمُنيِّر"، وتزوَّدَ من "إعراب القــرآن للزجّــاج"، واستعان بـــــ" تفسير الراغب الأصفهاني"، وعلى هذه المؤلفات قامــت حاشــيته الضخمة، وأكثرَ من النقل عنها، وعليها استنبطَ وحلَّلَ واستنتجَ، وعليهــا أســسَ ردوده وحُجَجهُ.

قائمة المراجع:

- أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- الاستعارة التمثيلية عند الطِّيبي، دراسة نظرية تطبيقية، عمر عبد الكريم الزعبي، إشراف سليمان الدقور، بحث مُحكّم، الناشر: الجامعة الأردنية عمادة البحث العلمي، مج٤٥، ع١، ٢٠١٨م، ص٣٢٦ من المجلة.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ.
- بدعة الكلام النفسي عرض ونقد، محمد عبد الرحمن الخميِّس، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – عمادة البحث العلمي، ع ٢٥، مجلة محكمة، ١٩٩٩م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدِّين السيوطي.
- تاريخ الفقه الإسلامي، محمد علي السايس، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود الزمخشري، اعتنى به وخرّج أحاديثه وعلَّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوُّره إلى القرن السادس (مشروع قراءة)، حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط٣، ٢٠١٠م.
- التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في المؤلفات البلاغية في القرنين السابع والثامن الهجريين، يوسف عبد الله محمد العليوي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ.
- جامع الشروح والحواشي، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤م، مقدمة كتبها جمعة عبد الله القبيسي .
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، محمد عرفة الدسوقي، طبع بدار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- حقائق التفسير تفسير القرآن العزيز، عبد الرحمن السلمي، تحقيق: سيد عمران، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، محمد مفيد آل ياسين، الدار العربية للطباعة، بغداد، ط١، ١٣٩٩هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني.
- دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بمصر، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ.
- الرسالة، اعتنى به د. ناجي السويد، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص٣٦١٠، وينظر: وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- شرح الطّيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السُّنن، تحقيق ودراسة: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة – الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- صناعة الخطاب: الأنساق العميقة للتأويلية العربية، محمد البازي، دار كنوز المعرفة، عمّان، ط١، ١٤٣٦هـ.
- عصر الدول والإمارات الجزيرة العربية – العراق- إيران، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
- الفائق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢، ١/ ٤، ٥ مقدمة التحقيق.
- فتوح الغيب في الكشف عن قِناع الريب، شرف الدين الطيبي، تحقيق مجموعة من العلماء والباحثين، مقدمة التحقيق: إياد أحمد الغوج، القسم الدراسي: جميل بني عطا، منشورات جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ.
- فرائد التفسير لأبي المحامد فصيح الدين محمد بن عمر المابرنابازي، اختصر فيه الكشّاف. ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ص١٢٤٢. لم أقف على ترجمة له.
- فقه التصوّف لشيخ الإسلام ابن تيمية، تهذيب وتعليق: الشيخ زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- قاموس المصطلحات الصوفية، أيمن حمدي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- كتاب فتوح الغيب، عبد القادر الجيلاني، مع تعليقات شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العليم محمد الدرويش، دار الهادي، مكتبة دار الزاهر.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدّمه وعلّق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ، كتاب التصوف.
- مستويات بناء صورة المعنى في العقل البلاغي مراجعات منهجية، محمود توفيق محمد سعد، مجلة جذور، العدد ٣٢، الناشر النادي الأدبي بجدة، سبتمبر ٢٠١٢م.
- المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا، صادق سليم صادق، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، قدّم له د/ عبد المعين الشواف، جمعه وهذبه: أبو المظفر سعيد السناري، دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة، ط١، ٢٠١٥م.
- من بلاغة الإنتاج إلى بلاغة التأويل دراسة في بلاغة الإقناع، البشير عزوزي، مجلة المقري، العدد الأول، ص٢٤.
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة الحنفي – المالكي– الشافعي– الحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين، أحمد تيمور باشا، تقديم: محمد أبو زهرة، دار القادري، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدِّين الصَّفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٠١٨
٢-	Abstract	٤٠١٩
٣-	تمهيد:	٤٠٢٠
٤-	المبحث الأول: العوامل الفكرية والثقافية والعلمية المؤثرة في الطيبي	٤٠٢٤
٥-	المطلب الأول: النزعة التدريسية عند الطيبي.	٤٠٢٤
٦-	المطلب الثاني: فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١هـ.	٤٠٢٨
٧-	المطلب الثالث: مؤلفات جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ.	٤٠٣٤
٨-	المطلب الرابع: ازدهار الشروح والتلخيصات في القرنين السابع والثامن الهجريين.	٤٠٣٧
٩-	المطلب الخامس: التعصب المذهبي العقدي عند الزمخشري.	٤٠٣٨
١٠-	المطلب السادس: الكلام النفسي عند الأشاعرة.	٤٠٣٩
١١-	المطلب السابع: المذهب الفقهي المنتمي إليه.	٤٠٤٣
١٢-	المبحث الثاني: دعائم ومصادر التفكير البلاغي في الحاشية	٤٠٤٦
١٣-	الدعامة الأولى: النظم طريق التفسير والكشف	٤٠٤٦
١٤-	الدعامة الثانية: الحد والقاعدة وسيلة للوقوف على التشبيهات والاستعارات:	٤٠٥٢
١٥-	الدعامة الثالثة: النقل عن كتب اللغة والنحو والتفسير والأصول:	٤٠٥٦
١٦-	الدعامة الرابعة: تنقيح الكشاف من المخالفات العقدية:	٤٠٥٨
١٧-	قائمة المراجع:	٤٠٦٧
١٨-	فهرس الموضوعات	٤٠٧٠

بحمد الله تعالى